جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

لغة وأدب عربي

نقد حديث ومعاصر

رقم المذكرة: ن/39

إعداد الطالبة
حسينة تركي

يوم27/06/2021

الالتزام في مختارات من شعر محمد جربوعة

لجنة المناقشة:

حكيمة سبيعي	أ. د.	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيس
صالح مفقودة	أ. د.	جامعة محمد خيضر بسكرة	مقرر
بلقاسم رفرافي	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقش

السنة الجامعية:2021/2020

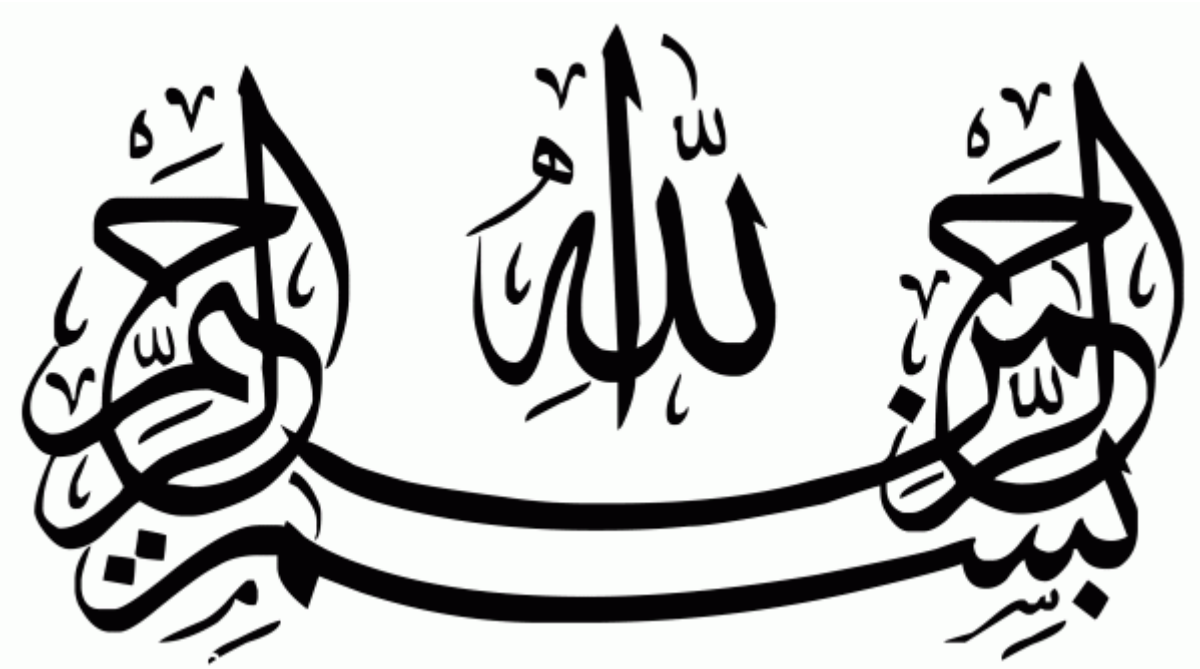
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

أول شكر أتقدم به هو لله عز وجل على هذه النعمة التي أنعمها على سبحانه وتعالى.

ثم أتقدم بكل الشكر والعرفان لأستاذي الفاضل المشرف:

الدكتور صالح مفقودة

الذي تفضل بالإشراف على هذه المذكرة.

كذلك أتقدم بالشكر للجنة المناقشة وإلى كل أستاذ بقسم اللغة والأدب العربي، جامعة بسكرة.

دعاء

(اللهم إني أسألك العفو والعافية ،في الدنيا والآخرة ،اللهم إني أسألك العفو والعافية ،في ديني ودنياي وأهلي ومالي ،اللهم ،أستر عوراتي ،وآمن روعاتي ،واحفظني من بين يدي ،ومن خلفي ،وعن يميني ،وعن شمالي ،ومن فوقي ،وأعوذ بك أن أُغتال من تحتي) .

الإهـــــداء

إلى أغلى إنسانة على قلبي إلى من طالما غرست في داخلي حب العلم

وأرادتني ناجحة دائما، قرة عيني، منبع الحنان

أمي الغالية جوهرتي في الحياة..حفظها الله.

إلى والدي الحبيب الفاضل سندي في الحياة أطال الله عمره.

إلى إخوتي الأعزاء على رأسهم حليم الذي ساندني كثيرا وكان بجانبي دائما

عند الحاجة إلى أخواتي الحبيبات

إلى صديقاتي وكل أفراد العائلة.

إلى جدتي الغالية رحمها الله وأسكنها فسيح جنانه.

إلى البراعم محمد طه الأمين، إخلاص، عبد الغني، دلال، إبراهيم

مرام لجين، إسراء.

مقدمـــــــة

مقدمـــــــة:

قضية الالتزام تعد من أهم القضايا النقدية التي لطالما ذاع صيتها وأخذت حقها بما يكفي من طرف النقاد والأدباء في العصر الحديث، ومن مميزات هذه القضية أنها تلتصق بالواقع المعيش فهو أهم ركائزها، ويعتبر الأدب الملتزم أدب صادق مخلص وواضح، يؤدي منفعة ويحمل رسالة مهمة، على عكس ذلك الأدب الذي يكون غرضه الوحيد هو المتعة والتسلية – الفن للفن–، وبالرغم من أن هذه القضية قد أخذت نصيبها في الطرح والمناقشة لدى الفكر النقدي الحديث،إلا أنها لازالت محط اهتمام في الساحة النقدية ليومنا هذا، لأنها مرتبطة بالواقع وكما نعلم أن الوقت يتغير بتغير العصور إذ أنّ لكل عصر مميزات تطغى على النص الأدبي –فيما يسمى بالمعاصرة–، يعني أن الأدباء يكتبون ما يمليه عليهم عصرهم أو واقعهم الذي يعيشونه، وقد ارتأينا ذلك جليا لدي المفكرين والأدباء خاصة حول القضايا الوطنية والقومية كالقضية الفلسطينية عند العرب، فهي بؤرة انطلاقة للمشاعر الجياشة حول العرق العربي ولازال الأدباء ليومنا هذا يبدعون في الكتابة حول هذه القضية التي لازالت تحت الحصار الصهيوني لغاية الساعة، لأن القلم هو الوسيلة الوحيدة لهؤلاء الأدباء لتقديم ولو شيء قليل لهذه الأرض المقدسة، وهذا التزام واجب على كل أديب، وفي قضية الالتزام تتعدد الجوانب التي يختارها الأديب كالسياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية وغيرها...

وقد تبنّى قضية الالتزام كل من التيارين الوجودي والواقعي، حيث إن الوجودية أخذت الالتزام من زاوية معينة ومثلها على الخصوص جان بول سارتر، كما أنّ الواقعية تبنته من زاوية أخرى سنتطرق لها لاحقا، وبطبيعة الحال يتنوع الالتزام كالقومي والوطني والإنساني وغيره ونجد بأن مصطلح الالتزام انتقل إلى العالم العربي أو النقاد والأدباء العرب مثله مثل العديد من المفاهيم الأخرى الغربية التي تأثروا بها، ونحن في بحثنا هذا سنأخذ الشاعر

الجزائري محمد جربوعة كنموذج، فهذا الشاعر شاعر ملتزم بمعنى الكلمة وذلك من خلال أعماله الشعرية وانطلاقا من هذه المعطيات سنطرح التساؤل التالي: فيم تتمثل ملامح الالتزام لدى محمد جربوعة من خلال مختارات من شعره؟،أما الأسئلة الفرعية1فقد تمثلت في ما يلي:1 /ماهو مفهوم الالتزام؟2/كيف تبنت الوجودية الالتزام؟3/فيما تمثلت رؤية المذهب الواقعي لقضية الالتزام؟4/ماهي أنواع الالتزام؟5/كيف تجلت ملامح الالتزام في مختارات من شعر محمد جربوعة؟6 / وأخيرا ما هي أهم خصائص الالتزام عند محمد جربوعة؟، ولعل أهم أسباب اختيار هذا الموضوع هي:1/الرغبة في أخذ زاد معرفي حول قضية الالتزام 2/الإرادة في معرفة الجذور الأولى لهذه القضية ثم إن قضية الالتزام هي من الأهمية بحيث تستحق البحث والدراسة. لما تكتسيه هذه القضية من أهمية، فالالتزام مهم حيث يحمل رسالة سامية تتمثل في مشاركة الناس في قضاياهم وآمالهم وآلامهم، وهذا عمل إنساني راقي وهو من واجبات الأديب ومسؤولياته المهمة لأنه لسان مجتمعه.

وتهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على قضية الالتزام ومعرفة تجليها عند الشاعر الجزائري محمد جربوعة، وقد اتبعت في البحث الخطة التالية:مقدمة مدخل، فصل أول حول الالتزام، مفهومه وأنواعه، أما الفصل الثاني فعنوانه مظاهر الالتزام في شعر محمد جربوعة، تطرقت فيه إلى ملامح الالتزام في شعر الشاعر وأشكاله، وخصائصه عند الشاعر من خلال دواوينه الشعرية وأنهيت البحث بخاتمة الخاتمة حول الموضوع، وقد اتبعت في هذا البحث المنهج التاريخي الوصفي، وبطبيعة الحال لا يخلو أي بحث من الصعوبات وفي هذا البحث واجهتني عدة صعوبات منها:صعوبة الاتصال بالمكتبات في ظل هذه الجائحة تشعب المادة في حد ذاتها وصعوبة القدرة على ضبط المعلومات، كذلك صعوبة معرفة المعاني الشعرية بدقة فاللغة الشعرية صعبة، وفي الأخير أشكر أستاذي الفاضل جزيل الشكر الذي منحني هذه الفرصة للسير معه في محطة علمية مهمة ومشرفة بالنسبة لي.

مدخـــــل

مدخل:

إن قضية الالتزام قضية نقدية حديثة مهمة، لها أسس ومبادئ يتخذها من أراد أن يتّجه بفنه نحو المنفعة وتقديم المساعدة للأمة والمجتمع والوطن. ومفهوم الالتزام له ارتباط وثيق بمفهوم الأدب نفسه ومدى تغلغله في الحياة وبالدور الذي ينهض به في توجيه الحياة عامة والشعر خاصة.[1]

ونجد أنه ذكر في قوله تعالى:"قل ما يعبؤُاْ بكم رّبي لولا دعاؤكم فقد كذّبتم فسوفَ يكون لزاما".[2]

وبعيدا عن خلط المعاني فإن "الالتزام شيء، والإلزام شيء آخر فالالتزام يعني حرية الاختيار وهو يقوم على المبادرة الايجابية الحرة من ذات صاحبه مستجيبا لدوافع وجدانية نابعة من أعماق نفسه وقلبه، ولعل هذه الحرية هي التي تضفي على الالتزام معنى الشعور بالمسؤولية.[3]

وقد ارتبط مصطلح الالتزام بالوجودية ارتباطا وطيدا، حيث اعتمد هذا المذهب الوجودي السارتري–طبعا يوجد من هم قبل سارتر–على ما يسمى بالالتزام كثيرا في آرائه ومتطلعاته مثله مثل المذهب الواقعي الذي سنتحدث عنه لاحقا.

ففي الوجودية يرتبط التزام الفنان في مفهوم الوجوديين من فلسفتهم الوجودية ولذلك نعرض لها من حيث صلتها بالالتزام، وهي تشتق أصلا من الوجود أي الكينونة المحسوسة التي تسبق الماهية،فالوجودية تعتبر وجود الإنسان هو الجوهر الحقيقي

---

[1]– جواد إسماعيل عبد الله الهشيم، الالتزام في الشعر الإسلامي الفلسطيني المعاصر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية بغزة، 2011/2010، ص12.

[2]– سورة الفرقان،الآية[77].

[3]– المرجع السابق، جواد إسماعيل عبد الهشيم، الالتزام في الشعر الإسلامي الفلسطيني المعاصر، ص13.

المطلق وهذه بلا شك من أثر ديكارت أيضا حين عارض بالشك فكرة الماهية في "الكوجيتو"أنا أفكر إذا أنا موجود.[1]

ونستطيع القول كذلك بأن فكرة كيركجورد (1813 –1855) الفيلسوف الدانيماركي الذي طالب باندماج الشخصية الإنسانية في الجماعة بحجة إن الفرد ليست له مقومات ذاتية إلا وسط الجماعة، ثم جابريل مارسيل الفيلسوف الفرنسي الذي طالب كذلك بتعميق الصلات بين الذات وبين سواها من الذوات الأخرى، كانت هذه المقدمات الفلسفية ممهدة لسارتر الذي جعل البحث الفلسفي ينادي بفكرة" السقوط" سقوط الإنسان في العالم وانه قد أُلقيَ فيه، وكما سقط فيه سقطت عليه كذلك أفكاره وعليه إن يحقق وجوده ويتعرف عن طريق الاحتكاك بما حوله وبالعالم الخارجي فيصنع صفاته.[2]

وإصرار سارتر على إن الوجود يسبق الماهية يرجع إلى رغبته في تحرير الذات مما تراكم عليها من قيود المجتمع الذي يستبدّها ويقيدها، والإنسان يعي حريته حين ينزع نفسه من عادات وتقاليد المجتمع وهو في هذه اللحظة يحدد موقعه الحاضر، ويتخذ باختياره طريق المستقبل بالتزام حر فهو حيال موقف يشعر إزائه بالقلق الذي يدفعه إلى الالتزام "وهذا التزام طوعي لا قسر فيه".

وعندما يكتشف الإنسان الملتزم ذاتيته أي يكتشف وجوده الفردي يكون في الوقت نفسه مكتسبا معه وجود الآخرين بمعنى أننا ندرك أنفسنا في مواجهة غيرنا وفي هذه الفكرة يرد الوجوديين على دعوى الماديين في زعمهم أن الوجودية تعمل على قطع كل صلة للأفراد بعضهم ببعض وعلى ذلك فالالتزام في أصله فردي ولكنه يتحول تلقائيا ليصطبغ بلون جماعي.

---

[1]– رجاء عيد، فلسفة الالتزام في النقد الأدبي، منشأة المعارف، الإسكندرية، د/ط، 1988، ص140.

[2]– المرجع نفسه، ص141.

والوجودية تعتمد على مفاهيم ثلاثة الحرية والمسؤولية والالتزام، وحياة الوجودي لا تحكمها ولا تتدخل فيها أية صفة جبرية أو قدرية أي عدم وجود سلطة خارج الذات والحرية الناتجة من ذلك تعطي شعورا بالقلق اتجاه المسؤولية التي يتحملها الوجودي وما تتبعه من التزام فالإنسان مضطر لان يكون حرا وقد حكم علينا بالحرية.

وهذه الحرية الملتزمة ليست التزاما يصنع فيه الفرد كل ما يجب، لأن سارتر يعود فيطلب أن يساءل الوجودي نفسه، ماذا لو تصرف الآخرون مثلي، أي أن هناك مراعاة للآخرين في حريتهم.

فهناك مسؤولية ضخمة تلازم فعل الاختيار، لأنني لا أختار حين التزم لذاتي فقط بل أختار لغيري من الناس جميعا....

وعلى ذلك فالتزام الفرد ليس اتجاه نفسه بل اتجاه البشر جميعا.[1]

أما الفلسفة الوجودية فتطلب أن يواجه الإنسان نفسه حتى يتحقق وجوده وهو يلتزم اتجاه ذاته واتجاه الآخرين، وتنبه هذه الفلسفة إلى أن الالتزام له اتجاهان، اتجاه سلبي واتجاه ايجابي والأول يتضح في الخضوع للإملاء الذي يفرضه الآخرون على الذات فيحقق ذاته عن طريق الذوب في المجموع وعلى ذلك فهو جبان وسوف يفقد حريته في النهاية ويتحول من موجود لذاته إلى موجود في ذاته.[2]

والاتجاه الثاني التزام ايجابي ينتج عن الرفض لأية أحكام سابقة وعليه فلنواجه الحياة بأنفسنا من غير معاونة خارجية رافضين لكل المثل الجاهزة.

إذن الوجودية ترى بأن الالتزام هو التزام حر أي اختياري دون أي ضغوطات نفسه ملتزم إزاء من حوله من البشر دون إكراه أو ضغط، والالتزام نوعان عند الوجوديين سلبي

[1] – المرجع السابق، ص(141-143).

[2] – المرجع نفسه، ص144.

وهو من تدخل الآخرين ويكون فيه الإنسان جبان،أما النوع الثاني الايجابي وهو المهم في الوجودية كما ذكرنا سابقا الالتزام يكون حر واختياري فهذا هو النوع الثاني والذي ينتج عن الرفض للأحكام السابقة هنا نتذكر الحداثة والتي لا تحمل تعريف جامع لامع فهي تعني الرفض والتجاوز والتمرد والاستقرار على كل ما هو قديم، وبما أن الإنسان هو الجوهر الأساسي لدى الوجوديين بالضرورة ستهتم بشؤون هذا الجوهر كما نعلم أن الإنسان يعني كل ما هو وجداني أي الاهتمام بالآلام و الآمال لهذا الإنسان، وهذا ما تنادي به قضية الالتزام وشعار الوجودية يعتمد على ثلاثة مفاهيم مهمة وهي الحرية والمسؤولية والالتزام.

وبعد الحديث المصغر عن الوجودية والالتزام سنحط الرحال عند الالتزام والمذهب الواقعي لنأخذ صورة وجيزة عن هذا التصور للالتزام لدى الواقعيين.

"ولعل ابرز ملامح الواقعية تتبلور في إعطاء المزيد من الاهتمام الفني بالواقع المعيش للناس والدفاع عن كيانه، مع الاهتمام بتمجيد الناحية الايجابية وعلى وجه الخصوص طبقة العمال"

فالواقعية الاشتراكية التي تمثل الفن الحقيقي على حسب المعتقد الماركسي يجب أن تستمد مقومات وجودها من تموجات الحياة اليومية المعيشة، ثم تقوم بصقل هذه الحياة اليومية الكادحة وصبغها بالصيغة الفنية.والمفهوم الواقعي الاشتراكي يؤمن بأن المحتوى الفكري الاشتراكي هو الذي يمنح الفن الحياة، وبمدى تشرب هذا الأثر الفني للأفكار الشيوعية ولأفكار الحزب يكون درجة قربه من النجاح.وعلى ذلك فالفن يكون ملتزما من الوجهة الشيوعية إذا عرف مساره الحقيقي إذا تدخل في المجتمع كقوة ثورية تعمل على منحه العطاء الثوري، وحتى إذا أصبحت الشيوعية تضم العالم أجمع فإن طبيعة الفن الثورية ستظل بارزة وإن كان المحتوى سوف يتغير بالطبع.

ويضيفون إلى ذلك أن الفنان ما هو إلا جزء من عملية البناء الشيوعي، وهو لذلك عليه أن يعكس بأمانة وصدق في فنه حياة الشعب وسيؤدي به هذا البحث الدؤوب إلى السير قدُما نحو الطريق الأصيل للواقعية الاشتراكية التي لا يستطيع الفنان أن يبتعد عنها، أو ينتج في غير ظلها لأنها حياة بلاده وشعبه. [1]

ومن خلال ما سبق نستطيع القول بأن الواقعية تنحاز إلى الفن الذي يحمل منفعة معينة، فالفنان لديها إن لم يكن عمله خادم لشعبه وبلاده فهذا ليس بعمل على الإطلاق، وهي تلغي فكرة الفن للفن أو للجمال، فالواقع المعيش هو الأداة المهمة التي ينبني عليها عمل كل فنان ولا يمكنه أن يبدع في غير ذلك لأن الواقع هو من يملي على المبدع أو الفنان موضوعاته سواء الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية وحتى الفنية وغيرها، ويجب على الفنان اللجوء إلى هاته القضايا التي تخص وطنه وشعبه لأنها من بين أهم التزاماته ومسؤولياته.

والالتزام أنواع سنذكر منها الالتزام القومي والوطني ثم الالتزام الديني وأخيرا الالتزام الإنساني.

أما الالتزام القومي والوطني فهو ذلك الالتزام الذي يلتزمه الأديب إزاء أمته ووطنه، هنا نطرح سؤال كيف يكون ذلك؟ فعلى سبيل المثال نجد شاعر جزائري يتحدث عن الثورة الجزائرية أو عن الأوراس مثل الشاعر الكبير مفدي زكريا هنا هذا الإنتاج الذي قام به الشاعر هو التزام وطني، أي تحدث عن قضية تخص وطنه والالتزام القومي يكون كأن ينتج مفدي زكريا عن فلسطين أو مصر أو الشام أي العالم العربي وهنا الأمة العربية ونجد أن العديد من الشعراء العرب أبدعوا في تصوير الثورة الجزائرية كذلك القضية الفلسطينية، فمصير الأمة العربية واحد ودينهم واحد، وقد حارب المجتمع العربي في

[1] – رجاء عيد، فلسفة الالتزام في النقد الأدبي، المرجع السابق، ص(125–140).

بعض المعارك ندّا إلى ند أي أن هم تقاسموا المصائب معا، وعانى المجتمع العربي ويلات الاستعمار وأبشع جرائم التعذيب من المستعمر،لذا يستحق هذا الشعب أن يعبر عنه الشعراء في إنتاجهم بأحسن تصوير وأرقى كلمات وهذا أقل شيء لأرض سقيت بدم الشهداء وكافح من أجلها الأبطال بأبسط الأسلحة، وبطبيعة الحال يكون الالتزام الوطني والقومي متقاربان.

إن الالتزام بقضايا تحرر الأمة العربية من المستعمر الغاصب يبدو عملا مميزا في أدبنا،فهو موقف مبدئي، وليس موقفا مرحليا تقتضيه الظروف وإشكالاتها، بل تقتضيه قضية أساسية وموقف ملتزم،موقف استراتيجي تحكمه أهداف إنسانية قومية كبرى لا يمكن الانحياز عنها أو الخروج عن خطها المبدئي...فالشعب المضطهد واحد، والحركة العنصرية واحدة، والنتيجة أيضا نضال مشترك ضد هذه العنصرية.[1]

أما الالتزام الديني فهو التزام عقائدي يكون من ناحية الدين، أن يلتزم الإنسان عموما والأديب أو المفكر خصوصا حول تعاليم دينه دائما وأبدا، وذلك بكل محبة وإيمان عن صدق خالص ويكون الإخلاص عن طريق مطابقة الفكر والفعل لتعاليم الدين دون تزييف ونفاق، والالتزام في الإسلام يكون بإتباع ما يمليه الدين الإسلامي لأن الإنسان المؤمن الذي قلبه يشع بالإيمان الصادق يكون ملتزما في دينه من تلقاء نفسه دون أي تدخلات خارجية،وطبعا بالضرورة يكون أيضا ذا قلب نقي طاهر محب للآخر ينتج عنه سلوك سوي ناضج.

"إن الالتزام بمعناه الإسلامي الواسع هو" الطاعة"،والطاعة الحقيقية قناعة إيمانية،وفرح في قلب المؤمن، وسلوك مطابق لحقيقة العقيدة وكل ما يتعلق بها الالتزام إذن عمل، يبدأ بالنية الصادقة، والعزم الذي لا يتزعزع، وينطلق من ممارسات واقعية في

[1]– فؤاد عمر علي البابلي، الالتزام في شعر محمد التهامي، مذكرة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية بغزة،2003 /2004، ص56 .

مختلف جنبات الحياة، إنه وئام بين الإنسان ونفسه، وبينه وبين الآخرين، وهو يضم تحت جناحيه قيم الحياة الإسلامية وقوانينها وأحكامها، وتصورات المؤمن لما يحيط الدنيا بالآخرة، ومرجع ذلك كله هو كتاب الله وسنة نبيه–صلى الله عليه وسلم– والنفس ليست قوة تائهة ضالة وإن كانت مسرح جهاد دائم، وصراع مستمر، فالصعود دائما ليس حركة سلبية، والتسامي لا يتحقق دون جهد، إنه لا يمكن الفصل في الأدب الملتزم بالإسلام بين القول والفعل؛ لأنه الإسلام نفسه لا يفرق بينهما فالأدب الملتزم بالإسلام يلتزم بما يأمر به الإسلام".[1]

أما الالتزام الإنساني وهو الأعم والأوسع، وفيه يكون الالتزام إزاء الإنسانية أو الإنسان، ونحن في حديثنا اليومي دائما نقول عمل إنساني أي عمل ودّي مغمور بالرحمة والإحسان دون انحياز إلى عرق معين أو جنس محدد بعيدا عن العنصرية فالإنسانية ضد العنصرية، وذلك دون مراعاة لشكل الإنسان أو طبقته في المجتمع فالإنسان إنسان وفي ديننا لا فرق بين عربي وأعجمي، والأديب حينما يكون ملتزما نجد أن إنتاجه غني بالإنسانية والوجدانية يحكي عن قضايا الإنسان المختلفة باحثا لها عن حلول لمعالجتها وكثيرا ما يطرح الأديب القضايا الإنسانية بكل صدق ووضوح دون تستر عن أي جانب من الجوانب المختلفة، فما حاجة الإنتاج والإبداع إن كان دون منفعة أو غاية، لأن الجمال والمتعة أصبحت من الأشياء التي ترفع عنها المتلقي نظرا لما آلت إلية الإنسانية من ظلم واستبداد وقهر وكيف ينظر من بجوفه أسف وحزن إلى الجمال وهو لا يملك السكينة والاستقرار لأن الجمال أساسه الحب حب الآخر والفرح لما يفرح والحزن لما يحزن أي مشاركته في كل شيء.

"وقد ورد في السنة النبوية الشريفة حديث رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام["لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحلّ لمسلم أن

[1]– فؤاد عمر علي البابلي ، المرجع السابق، ص31 .

يهجر أخاه فوق ثلاث"]، وفي هذا الحديث الشريف موعظة إنسانية بحتة يحث عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالناس يجب أن يكونوا إخوانا في كل المواقف من جميع النواحي، فيحسن القوي للضعيف لأنه لا فرق بينهما في الإنسانية فكل البشر سواسية، لا يحتقر أحدهم الآخر لأنه إنسان مثله، وفي موضوعنا إن يتحدث الأديب أو الشاعر عن موقف إنساني يخص أمته أو العالم أجمع هذا شيء جميل وهنا يكون إنتاجه ذا قيمة إنسانية راقية لأن فيه منفعة، والشعر الذي لايحمل قيمة لا جدوى منه."[1]

[1] – ينظر، جواد إسماعيل عبد الله الهشيم، الالتزام في الشعر الفلسطيني المعاصر، المرجع السابق، ص119.

الفصل الأول:مفهوم الالتزام وأنواعه

1) مفهوم الالتزام :

- تعريف الالتزام
- الالتزام والوجودية
- الالتزام في المذهب الواقعي

2) أنواع الالتزام :

- الالتزام القومي والوطني
- الالتزام الديني
- الالتزام الإنساني

1/مفهوم الالتزام:

1/1-تعريف الالتزام:

لغة: مادة (لزم)، اللُّزوم: معروف. والفعل لزم يلزمُ، والفاعلُ لازمُ والمفعول به مَلزُوم، لزم الشيء يلزمُه لزمًا ولزُوما ولاَزمهُ ملازمة ولزامًا، والتزمه وألزمه إياه فالتزمه. ورجل لزمة: يلزمُ الشيء فلا يُفارقه. واللّزامُ: الفيصل جدا. وقوله عز وجل"فقد كذبتم فسوف يكون لزامًا" أي عذابا لازمًا لكم؛ قال الزجّاجُ: قال أبو عُبيدة فيصلا، قال: وجاء في التفسير عن الجماعة أنه يعني يوم بدر، وما نزل بهم فيه فإنه لُوزم بين القتلى لزامًا، أي فُصل ؛ وأنشد أبو عبيدة لصخر الغيّ:

فإما ينجو من حتف أرض

فقد لقيا حتوفهُما لزاما

وتأويل هذا أن الحتفَ إذا كان مُقدرًا فهو لازم، إن نجا من حتف مكان لقيَه الحتف في مكان آخر لزامًا....[1]

واللَّزام مصدر لازم.واللَّزام، بفتح اللام:مصدر لزم كالسلام بمعنى سلم، وقد قُرئ بهما جميعا فمن كسر أوقعه موقع مُلازم، ومن فتح أوقعه موقع لازم...واللزام: الملازم، قال أبوذؤيب:

فلم يرغير عادية لزاما

كما يتفجر الحوض اللقيف

والعادية: القوم يعدُون على أرجلهم، أي فحملتهم لزام، كأنهم لزموه لا يفارقُون ما هم فيه واللّقيف: المتهور من أسفله.

والالتزام: الاعتناق.[2]

اللزوم مصدر لزم يلزمُ، ولازم لزامًا،والمفعول: ملزوم....والالتزام المعانقة.[1]

---

[1]- ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ط/1، 1919، ص4027.

[2]- المرجع نفسه، ص4027.

ومما ذكر أعلاه نستطيع أن نقول: بأن الالتزام هو عدم مفارقة الشخص لشيء ما هو اختار أن يلزمه أو يبقى بجانبه أو على عهده، فالشاعر على سبيل المثال حين يختار أن يكون شعره شعرا ذا بعد إنساني أو وجداني، يصبح بذلك شاعرا ملتزما نحا منحى الالتزام الذي يعبر عن مختلف القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.... وغيرها من القضايا سواء الوطنية أو القومية أو الإنسانية.

اصطلاحا:

الالتزام هو مشاركة للناس في قضاياهم المختلفة، يقوم، في الدرجة الأولى على الموقف الذي يتخذه المفكر أو الأديب أو الفنان فيها. وهذا الموقف يقتضي صراحة ووضوحا وإخلاصا وصدقا واستعدادا من المفكر لأن يحافظ على التزامه دائما.[2]

الالتزام عند الماركسيين: عند قيام الدولة الشيوعية الماركسية في الاتحاد السوفييتي فرض النظام الشيوعي سلطة على الفكر والأدب فألزم الأدباء بأن يصدروا في سائر ما يقولونه أو ما يكتبونه عند العقيدة الشيوعية الماركسية وأن يتحدثوا عن المجتمع. ويخلّصوا أدبهم له. إذ آمن الماركسيون بنظرية فكرية مؤداها أن الفن يعبر عن مجموعة المبادئ أو المعتقدات الخاصة لطبقة من الطبقات، والفن ليس أمرا خاصا وبالإنسان بل يتدخل في المجتمع كقوة ثورية فاعلة تعتمد الفكر الماركسي المرتبط بالأساس الاقتصادي وتؤمن بالواقعية الاشتراكية.[3]

ومن هنا يمكن القول أن مفهوم الالتزام تعدى مقولة أو فكرة الفن للفن، حيث أصبح وسيلة لخدمة المجتمع أوالقوم، فالأديب في هذا الجانب يجب أن يلتفت إلى القضايا

---

[1]–الصاحب، إسماعيل بن عباد، المحيط في اللغة،عالم الكتب، بيروت،ت، الشيخ محمد حسن آل ياسين،ج/9، ط/1، 1994، ص(59–60).

[2]– عمر حسن العامري، الالتزام في الشعر العربي الحديث، عبد الوهاب البياتي أنموذجا، مجلة اللغة العربية، كلية القانون الكويتية العالمية، الكويت، ع/38، ص71.

[3]–العقاب فتيحة، قصائد غادة السمان بين الالتزام والحرية،–دراسة في ديوان الأبدية لحظة–، مجلة المخبر، كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، ع/11،2015، ص3.

العالقة لوطنه أو قومه أو للإنسان عموما، ليبتعد الالتزام بذلك عن أنصار أو تيار مقولة الهدف الجمالي للشعر أو المتعة الجمالية للشعر، ومنه يصبح الأديب أو المفكر إنسان مسؤول ذا إنسانية عالية يهتم بقضايا الناس المختلفة.

ويراد بالتزام الشاعر وجوب مشاركته بالفكر والشعور والفن في قضايا الوطنية والإنسانية، وفيما يعانون من آلام وما يبنون من آمال. فليس له مثلا أن يستغرق في التأمل في الجمال الخالد والخير المحض، على حين يعاني وطنه ذل الاحتلال، أو عنان الطغيان، وليس له أن يسترسل في خيالاته ومشاعره الفردية على حين وطنه من حوله أو طبقته الاجتماعية في وطنه،تجاهد في سبيل آمال مشتركة. وتتناول قضية التزام الشاعر مذهبان معاصران من مذاهب الأدب: هما الواقعية الاشتراكية والوجودية.[1]

وبعد هذا الرأي المهم نجد أن من واجبات الشاعر المشاركة في القضايا الوطنية والقومية والإنسانية، فهو يعيش في المجتمع ويعلم جيدا ما يعاني منه الناس من آهات وآلام، كذلك هو على دراية بما يأملون وما يسعون لتحقيقه من أحلام وآمال.

فمن غير المستحسن أن ينحوَ الشّاعر في التأمل في الجماليات والخير، ومقابل ذلك يعاني وطنه من قمع الاحتلال واستبداد الاستعمار كذلك يتحقق التزام الشاعر في اشتراك أفكاره وميولاته وآراؤه مع أفكار مجتمعه، فهو من يحسن التصوير أو التعبير عن تلك الآراء أو القضايا العالقة، لأن شعره عبارة عن مرآة عاكسة لذلك الواقع المعيش سواء الاجتماعي، الاقتصادي، السياسي أو الثقافي، ومنه يصبح عمله عمل فني بامتياز يحمل في طياته منفعة خاصة بالدرجة الأولى ثم منفعة عامة ليتجاوز بذلك الشاعر الجانب الجمالي أو الفني، متّجها نحو المنفعة والمسؤولية فالإنسان الذي يعاني من الآلام والقمع

[1]– محمد غنيمي هلال،النقد الأدبي الحديث،دار النهضة مصر، القاهرة،ط/1997،1، ص456.

والاستبداد كيف له أن يرى ذلك الجمال والخير الذي يتجسد في ذلك الشعر المعبر عن مقولة الفن للفن بالطبع لن يراه لأنه إنسان منكسر.

إن الناقد الجزائري، هو الآخر وظف مفهوم الالتزام، وحاول تفسيره وتطبيقه على الشعر ويعد محمد مصايف من النقاد الجزائريين الذين اهتموا كثيرا بهذا الأمر إذ كتب عن" الأدب والالتزام"وعن "الأديب الملتزم "، فالأدب الملتزم عند محمد مصايف"هو ما ارتبط بقضايا الطبقة العاملة من المجتمع"، أما الأديب الملتزم فعليه ان يكون لسان طبقة معينة وإيديولوجيا معينة".[1]

ساد الالتزام لدى الغرب وانطلق من هناك ثم انتقل إلى العالم العربي ليتأثر بهذه القضية العديد من الشعراء والنقاد والأدباء، حيث أصبح جل الاهتمام حول قضايا ومشاكل المجتمع والناس، وارتبط العمل الإبداعي ارتباطا شديدا بالواقع الإنساني فالأديب هو القناة التي من خلالها تنصب أحوال الناس، الاجتماعية، الاقتصادية والسياسية وغيرها عبر إنتاجه الإبداعي ليصبح ذا وظيفة اجتماعية خالصة صادقة تحمل منفعة.

"فيلتزم الأديب في أعماله الأدبية فكرا محددا من الأفكار أو عقيدة من العقائد أو مبدأ أو فلسفة فلا ينفك عنها. فهو مشاركة الشاعر أو الأديب الناس همومهم الاجتماعية والسياسية ومواقفهم [1]الوطنية، والوقوف بحزم لمواجهة ما يتطلب ذلك إلى حد إنكار الذات في سبيل ما التزم به "وهذا الموقف يقتضي صراحة ووضوحا وإخلاصا وصدقا واستعدادا من المفكر

[1]–ملاح بناجي، الالتزام من منظور محمد مصايف، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، ع/9، ص (1–2).

لأن يحافظ على التزامه دائما ويتحمل كامل التبعة التي تترتب على هذا الالتزام".[1]
إذن يجب على المفكر أن يكون مخلص وصريح وصادق في الموقف الذي سيعبر عنه كي يصل إلى القلب لأن ما يخرج من القلب يصل إلى القلب.

2/1-الالتزام والوجودية:

أصبحت الفلسفة الوجودية حديث الجمهور وموضع الإقبال في عدد من البلاد بعد الح، ع،2، ورغم أن كتاب جان بول سارتر "الوجود والعدم" كتاب شديد الصعوبة وتتطلب قراءته معرفة متعمقة بتاريخ الفلسفة...على الرغم من كل هذا إلا أن الكتاب لاقى نجاحا عظيما.[2]

وقد كان هناك أربعة فلاسفة على الأقل، في النصف الأول من القرن العشرين الميلادي، يتسمون بأنهم وجوديون من غير معارضة من أحد: جابريل مارسل، كارل ياسبيرز، مارتن هيدغر، وجان بول سارتر. وجميعهم يظهرون انتسابهم إلى كيركجارد، الذي يعد فيلسوفا وجوديا مؤثرا في القرن العشرين، رغم بعده في الزمن.[3]

وعليه لقد انتشرت الفلسفة الوجودية انتشارا شاسعا في أوربا وخارج أوربا آنذاك حيث لقت صدى جماهيري كبير جدا. وقد أحدث كتاب جان بول سارتر"الوجود والعدم" ضجة كبيرة وإقبال هائل رغم صعوبته، إذ أن هذا الكتاب يتطلب فكرا ناضجا وعالما بالفلسفة كي يفك شفرات ذلك الكتاب، وهذا الفيلسوف-جان بول سارتر-قد لقي حظا عظيما وقتها ففي أي حديث عن الوجودية نجده حاضرا وبقوة. إن الدارسون لهذه الفلسفة-الوجودية- يعتمدونه كثيرا في دراساتهم عن الوجودية رغم وجود العديد من الفلاسفة الوجوديين غيره ويستحقون أن يوجه الطرف إليهم لأنهم يعدّون ركائز أساسية ومهمة في الفكر الوجودي

---

[1]-العقاب فتيحة، قصائد غادة السمان بين الالتزام والحرية،- دراسة في ديوان الأبدية لحظة-، المرجع السابق، ص2.

[2]- إ- م- بوشن سكي، الفلسفة المعاصرة في أروبا، عالم المعرفة، الكويت، تر:عزّت قرني، د/ط، 1992 ، ص209.

[3]-ينظر، المرجع نفسه، ص211.

ويجدر بنا الإشارة إلى أن الفلاسفة الوجوديون أمثال ياسبرز، هيدغر، سارتر...وغيرهم قد تأثروا بـ"كيركجارد" رائد الوجودية منذ زمن بعيد.

إذن نستطيع القول أن كتاب "الوجود والعدم "لجان بول سارتر هو عبارة عن طلقة نارية وجودية اشتعل بها الفكر الثقافي الفرنسي وغير الفرنسي، كما يعد هذا الكتاب نقطة انطلاقة مزدهرة لهذا الفيلسوف الفرنسي الذي لطالما ذاع صيته في تلك الحقبة الزمنية.

بعد انتهاء الحرب بقليل، ألقى سارتر محاضرة عامة بعنوان"هل الوجودية مذهب إنساني"هزت الحياة الثقافية في باريس وكانت بمنزلة بيان رسمي بإطلاق الحركة الوجودية.منذ ذلك الحين ارتبطت الوجودية بنوع معين، الفلسفة الإنسانية التي تولي الإنسان والقيم الإنسانية مكانة مرموقة.[1]

غالبا ما يعبر الفيلسوف الوجودي تعبيرا دراميا عن هذا "الزمن المعاش".هكذا يصف ألبير كامو(1913-1960)في حكايته الرمزية عن الاحتلال النازي لباريس – بعنوان"الطاعون"– المواطنين في مدينة موبوءة بالطاعون وخاضعة للحجر الصحي فيقول:"عدائيون مع الماضي، ونافدوا الصبر مع الحاضر، ومخدوعون في المستقبل كنا مثل من أجبرتهم عدالة البشر، أو كراهيتهم، على العيش خلف قضبان السجن".[2]

ألقى سارتر محاضرة عامة بعنوان"هل الوجودية مذهب إنساني وكعادته زعزع الكيان الثقافي بباريس، وقد كانت انطلاقة مهمة لظهور الحركة الوجودية رسميا. ومن هنا ارتبطت الوجودية ارتباطا وطيدا بما يسمى بالفلسفة الإنسانية التي تعد الإنسان أهم شيء في الحياة، وقد ترعرع ونشئ مفهوم الإنسان لدى الفلسفة الإنسانية التي أولته اهتماما كبيرا، ومثلما ارتبطت الفلسفة الوجودية بالفلسفة الإنسانية ارتبط كذلك "الالتزام" بالفلسفة

[1]– توماس آرفلين، الوجودية مقدمة قصيرة جدا، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، تر: مروة عبد السلام، ط/1،2014، ص10.

[2]– المرجع نفسه، ص19.

الوجودية، وبما أن الالتزام هو عدم مفارقة شخص لشيء ما قد اختاره مثل الأديب حينما يتّجه نحو قضايا وطنه العالقة باحثا عن حلول لهذه القضايا، لابد له أن يشتغل على هذه القضايا التي التزم باختيارها وطنية كانت أم قومية أم إنسانية، فالإنسانية مذهب مهم في الحياة والالتزام يبدأ من المجتمع الخاص وصولا إلى المجتمع العام ألا وهو الإنسان عموما، وعلى ذكر المجتمع لقد عبر الفيلسوف الوجودي عن الواقع الاجتماعي المعاش أو القضايا الاجتماعية المعاصرة آنذاك مثلما عبر عنه "ألبير كامو"عن الحجر الصحي في باريس أثناء الاحتلال النازي لباريس، وقد وصف ذلك بالطاعون الوباء القاتل وسريع الانتشار.

لقد انتشر هذا الوباء منذ الخلافة الإسلامية والحجر الصحي جاء به عمر بن العاص داهية العرب.

كانت الحقيقة الذاتية التي تحدث عنها "كيركجارد" بشيرا بما سماه سارتر "الالتزام" في القرن التالي. وكأن سارتر يريد الانتقاص من أهمية مفهوم الحقيقة الموضوعية في ضوء العلوم الحديثة، فيعلق قائلا: "توجد فقط معرفة ملتزمة".[1]

وفي مجموعة مقالات شهيرة بعنوان"ما الأدب" نشرت عام 1948،وضع سارتر مفهوم "الأدب الملتزم".اعتمدت فكرته الأساسية على أن الكتابة هي شكل من أشكال الفعل الذي يجب أن نتحمل عنها المسؤولية.[2]

[1]– المرجع السابق، توماس آرفلين، الوجودية مقدمة قصيرة جدّا، ص24 .

[2]– المرجع نفسه، ص25.

حيث قال: الرسم والنحت والموسيقى لا يمكن أن تكون ملتزمة كالأدب...- ميدان المعاني هو النثر، فالشعر كالرسم والنحت والموسيقى لا يقبل الالتزام- البحث عن الحقيقة لا يتم إلا باستخدام اللغة أداة وليس هذا شان الشاعر. [1]

نجده يميز بين الشعر والنثر...مع أن سارتر سيعدل لاحقا هذا الفرق في مقال عن الطابع الثوري في الشعر الفرانكفوني للأفارقة، فتبقى فرضيته العامة بأن الأدب على الأقل في موقفنا الحالي الذي يرى فيه قمعا اجتماعيا واستغلالا اقتصاديا، يجب أن يلتزم بطابعه التسكيني.[2]

إذن أخذ سارتر مفهوم "الالتزام" مما يسمى بالحقيقة الذاتية عند "كيركجارد" أي أنه وضع تسمية الالتزام مقابل الحقيقة الذاتية عند "كيركجارد" هذا الفيلسوف الذي لطالما تأثر به العديد من الفلاسفة الوجوديين على رأسهم جان بول سارتر حيث أراد هذا الأخير أن يضع مفهوم أو معنى جديد "للموضوعية" بحصره للمعرفة في الالتزام، فقد أقر بوجود معرفة ملتزمة فقط. ولقد قام سارتر بنشر جملة من المقالات معنونةبـ"ماالأدب"عام 1948، عرّف من خلالها "الأدب الملتزم" ليتّجه بعد ذلك إلى تعريف الكتابة وفي تعريفه لها نفى الشعر من الالتزام ووضعه موضع النحت والرسم والموسيقى، ليحصر بذلك الالتزام في النثر، أي أن الكتابة النثرية عند سارتر هي التي تعبر عن الالتزام، فالكتابات النثرية واضحة ومفهومة وتكون معانيها مباشرة غير ملتوية كما هو الحال في الشعر الذي يمتاز بلغة جمالية زئبقية المعنى التي يختبئ وراؤها الشعراء ليمرروا خطاباتهم من خلالها، لقد كان هذا ما أقره سارتر بخصوص مفهوم الكتابة. فقد فرق بين الشعر والنثر ثم رجع واستدرك ذلك التفريق وعالج هذا الموضوع كما ذكر في الأعلى، أي أنه جعل من

[1]-جان بول سارتر، ماالأدب، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، تر: محمد غنيمي هلال، د/ط، د/س، ص9.
[2]- المرجع السابق، توماس آرفلين،الوجودية مقدمة قصيرة جدّا، ص(25-26).

الأدب عموما أدبا ملتزما مهما كانت سمة ذلك الأدب أو جنسه، المهم أن يتّجه ذلك الأدب في موضوعاته إلى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية باحثا في ذلك عن مخرج للمآزق التي يعانيها المجتمع ومعّبرا عن الواقع الاجتماعي المعيش بكل صدق وإخلاص فالأديب في نهاية المطاف جزء لا يتجزأ من المجتمع وهو خير وسيلة للّتعبير عن ما يحدث داخل المجتمع بصورة صحيحة،أي عبارة عن مرآة عاكسة للمجتمع، وهذا ما نقصد به الأدب الخالص الأدب الذي ينفل الحقيقة كما هي جميلة كانت أم قبيحة والأدباء والشعراء لطالما تحدثوا عن الجماليات واهتموا بهذا الشأن كثيرا، لكنهم لم ينتبهوا أنه لابد لهم أن يتحدثوا عن القبحيات أيضا فعلى سبيل المثال نجد أديب يتحدث عن ما هو جميل دائما، لكن مقابل ذلك لا وجود للجمال الذي يتحدث عنه داخل وطنه أو مجتمعه، وهنا يجب أن يصحوَ الضمير للاتجاه نحو مواضيع نافعة تغير من الحياة إلى الأفضل.....

"إن الوجودية في تاريخ الفكر، قديمة وحديثة في آنٍ واحد ؛ "فهي من جهة تضرب عمقًا في تاريخ الوعي البشري"...ولكنها محدثة من جهة ثانية، حيث ازدهرت في القرن العشرين كمذهب فلسفي ارتكز على فكرة أسبقية الوجود على الماهية التي تفرعت عنها مبادئ كالحرية والاختيار والمسؤولية والالتزام."[1]

إن الالتزام يتطلب تضحية بالذات. فإذا كانت الحرية هي أساس الوجود الإنساني فكيف يمكن الانفصال عن الأنا الفردية وفكرة الحرية المصاحبة لهذه الأنا؟.[2]

وبما أن الحرية مبدأ من مبادئ الفلسفة الوجودية، سنشير إلى الحرية والالتزام إشارة بسيطة عند سارتر و مطاع صفدي المفكر السوري.

[1]– خليل برويني، الحرية الوجودية في الرواية العربية المعاصرة، دراسة في "أصابعنا التي تحترق" لسهيل إدريس، مجلة إضاءات نقدية(فصلية محكمة)، ع/19، 2015، ص14 .

[2] – منير زيبائي، مفهوم الحرية بين النقد والدراسة قراءة تحليلية مقارنة في كتابات مطاع صفدي وسارتر أنموذجا، مجلة اضاءات نقدية(فصلية محكمة)، ع/12،2013، ص102 .

"لا يعتقد سارتر ولا صفدي بأي تناقض بين الحرية الفردية والالتزام الجماعي، وبما أن الوجود البشري هو"وجود – في– العالم"فيمكن أن يجمع بينهما ؛ الحرية تعني أن الإنسان يأخذ شعورا بموقفه أولا لكي يستطيع أن يتجاوزه. في هذا المجال فإن أي التزام حر يعدّ ضروريا لكي يستطيع أن يؤكد ذاته كسيّد حر لأفعاله نتيجة لذلك فالروح الجماعية والرغبة في الالتزام تولدان داخل الإحساس الفردي."[1]

انطلاقا من هذا الرأي لكل من جان بول سارتر وصفدي نجد أن كلا المفكرين لهما نفس الرأي، فالحرية والالتزام متلازمان لا يمكن وجود للالتزام دون الحرية ولا وجود للحرية دون الالتزام، والالتزام في طبيعته هو اختياري أي أن الشخص الذي يريد أن يكون ملتزما هو حر في اختياره من غير إكراه من أحد، ممّا يعني أنه إنسان حر، وينفي كل من سارتر وصفدي وجود أي تناقض بين الالتزام والحرية، ويمكننا القول أن صفدي مطاع هو ابن سارتر في تفكيره أي تلميذه الذي أخذ باتجاهه وتبنى معظم أفكاره المزدهرة خاصة في القرن العشرين هاته الفترة التي ظهرت فيها وجودية سارتر، والتي كان لها صدا واسعا داخل فرنسا وخارجها.....

"تذهب الفلسفة الوجودية إلى أن الإنسان ليس إلا مشروع الوجود الذي يتصوره ووجوده هو مجموع ما حققه، وهو نفسه ليس إلا مجموع أفعاله، ومجموع أفعاله هي حياته، فهو مجموع أفعاله وهو حياته...والإنسان يلتزم في حياته، وهو في التزامه يرسم صورة ما سيكون عليه وجوده. وكل ما يمكن أن يكون عليه هذا الوجود يرسمه الإنسان داخل هذه الصورة".[2]

---

[1]- منير زيبائي، المرجع السابق، ص105.

[2]- جان بول سارتر، الوجودية مذهب إنساني، د/دار النشر، د/مكان النشر، تر:عبد المنعم الحفني، ط/1، 1994، ص(39–40).

"وإذن تكون الوجودية فلسفة أخلاق والتزام".[1]

تربط الوجودية وجود الإنسان في هذا الكون بأفعاله التي يصدرها فهي حياته بالنسبة لهم، والإنسان عندهم هو إنسان مسؤول بالدرجة الأولى عمّا يقوم به من أفعال، ليتحمل بعد ذلك عاقبة تلك الأفعال صحيحة كانت أم خاطئة هذا ما ذهب إليه الوجوديون، ومن هذه الجمل نستطيع أن نصل إلى مايسمى بالالتزام فعندما يلتزم الإنسان لما سيؤول إليه حاله أو ما سيتجه إليه من أفكار أوأفعال في النهاية هو مسؤول عن هذا الاتجاه الذي اختاره، بمعنى أن الإنسان يرسم حياته من تلقاء نفسه أو من خياره دون إكراه من أحد فهو حر، أي ملتزم ولكن بحرية تامة فعلى سبيل المثال الأديب حينما يختار مجالا معين أو ميدانا ما يتحدث عنه دائما في إنتاجه الأدبي، هذه الحركة أو الفعل الذي قام به هذا الأديب هو اختيار من تلقاء نفسه دون أي ضغوطات من أي أحد – سواء سلطة أو مجتمع أو غير ذلك – ومن هذا المثال نخرج بأن هذا الأديب أديب ملتزم نحو اتجاه معين هو اختاره بطبيعة الحال أي(أديب ملتزم حر) هذا ما عبرت عنه الفلسفة الوجودية أو ما أدلت به نحو مصطلح "الالتزام"

وطّد سارتر عبر منجزه النقدي صلة الأدب بالمجتمع،هاته الصلة التي رسخها الماركسيون من قبل في كتاباتهم، فكان تأثره بهم تأثر إبداع وبعث لوجهة نقدية جديدة، مكنته من إنتاج عدة دراسات تقوم في معظمها على تحليل الأدب انطلاقا من المواضيع التي يطرحها الكاتب وموقفه الصّريح والمعلن من هذه المواضيع.[2]

إن الأدب بالنسبة لسارتر لابد أن يكون ملتزما،وأن يخوض في كل الأمور بطريقة يلتمس بها الجمال التماسا عميقا،لأن الأدب إذا لم يكن كلاً بتمامه، فإنه أدب لايستحق

[1] – جان بول سارتر، المرجع السابق ص 44.

[2]– أسماء بن عاشور، النقد الوجودي عند سارتر، مجلة الآداب،ع/14، د/س، ص4.

منا عناء ساعة واحدة، هذا ما أعنيه بالالتزام. إن الأدب سرعان ما يجفُّ إذا اقتصر على البراءة والتّغني بالأوهام، وإذا لم يتردّد صدى العبارة المكتوبة على جميع مستويات الإنسان والمجتمع فهي عبارة خاوية لامعنى لها.[1]

دائما وأبدا يحرص سارتر على ربط الأدب بالمجتمع ويؤكد على ذلك كثيرا،ليطرح الكاتب بعد ذلك موقفه بكل صراحة وإخلاص حول ما يتحدث عنه من مواضيع سياسية اجتماعية، اقتصادية...أو غيرها، فالأدب عند هذا المفكر–سارتر– يحمل طابع الالتزام أي أدب ملتزم كما يرى هو، وإن لم يكن كذلك فهو لا يستحق منا الاهتمام ولو لساعة واحدة، وإن لم يعبر الأدب عند سارتر عن كل ما يدور حول الإنسان من شتّى الجوانب فهو برأيه إنتاج عبارة عن كتلة صمّاء خرساء لا تعبر عن شيء مهم في هذا الكون، أو هي عبارة خاوية لا معنى لها. إذن يوجّه سارتر الأدباء والمفكرين أن يهتموا بالقضايا التي تهم وطنهم وأمتهم لأن ذلك من مسؤولياتهم...

"وهكذا فإن أول مسعى للوجودية يتمثل في جعل كل إنسان متملّكا لوجوده، وتحميله المسؤولية الكاملة عن وجوده. وعندما نقول بأن الإنسان مسؤول عن فرديته الضيّقة وإنما هو مسؤول عن كل الناس.هناك معنيان لكلمة الذاتية يستغلها خصومنا. فالذاتية تعني من جهة اختيار الذات الفردية بنفسها، ومن جهة أخرى، استحالة تجاوز الإنسان للذاتية الإنسانية. والمعنى الثاني هوالمعنى العميق للوجودية. وعندما نقول بأن الإنسان يختار ذاته، فإننا نعني أن كلاً منّا يختار ذاته، ونقصد بذلك أيضا أنّنا باختيارنا هذا إنما نختار كل الناس."[2]

3/1 - الالتزام في المذهب الواقعي:

[1] – أسماء بن عاشور، المرجع السابق ص 16 .

[2]– جان بول سارتر، الوجودية منزع إنساني، دار محمد علي الحامي للنشر، تونس، تعر: زهير المدنيني، ط/1"،2012 ص33.

فللواقعية الاشتراكية والوجودية السارترية النصيب الأوفى في الدعوة إلى الالتزام وتعميمه وتطبيق مبادئه في الأعمال الأدبية، ويدل مصطلح الالتزام،في الواقعية الاشتراكية على إلزام الأديب على أخذ مقومات وجوده الفني من الحياة المعيشة ومعالجتها في اتجاه ايجابي، فالفنان ملتزم حتميا، لأنه جزء من عملية البناء الشيوعي وللأدب حسب المعتقد الماركسي، قوة اجتماعية قادرة على إحداث تغييرات هائلة في حياة الجماهير. وهكذا أصبحت الدعوة إلى الالتزام من تعاليم الواقعية الاشتراكية الأساسية حيث عبر عنها قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي وكان "مكسيم جورجي " أول من استخدم هذا المصطلح مهاجما على الواقعية القديمة لإيمانه بغلبة الخير على الشر في روح الإنسان وتمجيده دور الشعب في خلق حياة إنسانية فضلى.أخذ على مفهوم الالتزام في الواقعية الاشتراكية مقياسه الاجتماعي الضيق الذي ارتضته، حيث صادرت الأعمال الأدبية التي تخلو من المضمون الدعائي لقضيتها، لا لسبب إلا لخلوها من هذه الوجهة الدعائية.[1]

لقد دعت الواقعية الاشتراكية إلى الالتزام شأنها شأن الوجودية السارترية وفي الواقعية نجد أن مصطلح الالتزام يختلف نوعا ما عن مصطلح الالتزام لدى الوجودية فالأولى يعني مصطلح الالتزام عندها التزام الأديب أن يتوجه بفنه إلى الحياة المعيشة ومعالجة قضاياها العالقة في اتجاه ايجابي، أي انه ملتزم وهو مجبر على ذلك على عكس الوجودية فهو ملتزم ولكنه حر،بمعنى التزام الأديب في الوجودية يكون من اختياره ولان الأديب في الواقعية جزء لايتجزأ من البناء الشيوعي حسب المعتقد الماركسي فهو مقيد بالالتزام، كما اهتمت الواقعية الاشتراكية بالجانب الاجتماعي في الالتزام، إضافة إلى أنها تلغي كل إنتاج أدبي لايحمل في طياته التزام نحو إيجاد حلول ايجابية للقضايا العالقة في المجتمع.

[1]– عبد الحسين فقهي، قضية الالتزام بين الخطابين النقدي والشعري في الأدب العربي المعاصر، مجلة اضاءات نقدية (فصلية محكمة)،ع/32، 2018، ص14 .

غدت الواقية اتجاها عندما استوعبها الكتاب جماليا كمنهج فني قائم في أساس أعمالهم، وأدرك المنهج نظريا كجملة مبادئ من شأنها ضمان التصوير الشامل الاجتماعي، التاريخي والموضوعي للحياة الواقعية. ننسب إلى الاتجاه أيضا، عدا المنهج، مضمون الأعمال الأدبية الخاصة به،السمات العامة والخاصة للمواضيع والأفكار والمعالجات والقضايا الفنية والأسلوبية وكذلك التيارات والمدارس الأدبية.[1]

جذب عصر النهضة الأدب صوب الحياة الواقعية، إلى الأرض في أعمال "رابليه" "شكسبير"،"سارفانتس"وغيرهم من كتاب النهضة الآخرين أظهرت الواقعية للمرة الأولى للإنسانية عظمة الإبداعات التي لاتقدر بثمن التي يقدمها فن الكلمة عندما تصبح أرضيته وأساسه الواقع وحقيقة الحياة.[2]

أخذ الأدباء والنقاد الواقعية كعمود أساسي يرتكزون إليه في إنتاجهم الأدبي والنقدي كون الواقعية مذهب أو منهج أخذ صيته في الساحة الأدبية آنذاك، حيث أصبح الواقع المعيش هو الغاية والوسيلة التي ينطلق منها الأديب ويعود إليها،فالحياة الواقعية تتعدد موضوعاتها من قضايا اجتماعية وسياسية وفنية وغيرها وهي مجال واسع لكي يبدع فيه الأديب ويقول كلمته في ذلك المجال، وقد ظهرت ملامح الواقعية في أعمال رابليه، شكسبير، سرفانتس وغيرهم كثر، فقد تهاتف الأدباء والنقاد حول هذا المنهج أو المذهب الواقعي وتعددت كتاباتهم فيه، حيث لا تعدّ ولا تحصى، لأن الواقعية تحولت إلى مسرح للصراع حول الإنتاج الذي يحمل الطابع الواقعي أو الواقع المعيش، هذا الأخير الذي أصبح مصدر غذاء للإنتاج الأدبي يعود إليه الكتاب أو بالأحرى ينطلقوا منه، فدائما وأبدا الواقع أفضل بكثير من الحياة المثالية التي يصطنعها البشر من خلال مخيلتهم، لأن

[1]– س، بتروف، الواقعية النقدية في الأدب، الهيئة العامة السورية للكتابة، دمشق، تر: شوكت يوسف، د/ط، 2012، ص83.

[2] – المرجع نفسه ص 85 .

الخيال يبعد الإنسان عن الحقيقة والأديب الملتزم في هذا المجال لابد أن يكون واقعيا بمعنى الكلمة لأن الواقعية والالتزام تربطهما علاقة وطيدة، وهنا بطبيعة الحال سيتحدث الأديب الملتزم عن الواقع المعيش الذي حوله أو الذي يعيشه وطنه ومجتمعه وأمته،ببساطة واقعه بجماله وقبحه سيعبر عنه بكل مصداقية وأمانة فهذه من مبادئ الالتزام.

بين حين وآخر يرد في فصول النقد والدراسات الأدبية ذكر "الواقعية"وتتردد كلمات مثل "الأدب الهادف"و"الفن للحياة"و"الالتزام في الأدب"فيرضى قوم ويعارض آخرون ويلتبس الآمر على عقلاء المعارضين، إما من سوء التعبير عن المقصود ذاته، إذا كان غير سديد، وإما من سوء الفهم.[1]

فتصوير الشيء على حقيقته أمر مسلم به عند الواقعيين الهادفين، كما هو غرض مهم عند الواقعيين المصورين ولكن رؤية الشيء تختلف.. فأصحاب التصوير يرون الأشياء بطريقة حسّية ويسجلونها تسجيلا قد يكون بارع التصوير ممتعا، هذا فقط.. ولكن ذوي الأهداف يرونها رؤية حسية فكرية ثقافية، ويؤلفون من ألوانها المختلفة ما يعطي دلالة ويؤدي رسالة، الواقعية الواعية هي التي تنظر إلى الإنسان، لا على أنه صورة ترسم للمتعة والتسلية، بل باعتباره كائنا اجتماعيا متطورا، وأن تطوره يكون بتحسين واقعه وتهيئة الفرص لكي يستكمل سعادته في الحياة. فالواقعية تصور الواقع لتطويره وترقيته، لا لإخراج صورة تعجب وتبهر.. وليس الأمر في الواقعية الهادفة أنها تحقق أي غرض ولو كان مجرد متعة جمالية تسرّ وتبهج، ولا أنها تعبر عن أي حياة ولو كانت حياة فردية منفصلة عن واقع الجماعة واهتماماتها، فأننا نريد بالحياة التي يعبر عنها الأدب الواقعي الهادف، ما يقع في

[1]– عباس خضر، الواقعية في الأدب، دار الجمهورية، بغداد، د/ط،1967، ص3.

البيئة التي يعيش فيها الإنسان، وما يستطيع الأديب الموهوب أن يربطه بما يقع في العالم الأوسع، منعكسا هذا أو ذاك على حسه ومشاعره. [1]

من خلال ما سبق نستطيع استنباط فكرة مهمة عن الواقعية فهاته الأخيرة تندرج ضمن الأدب الهادف أو الواعي على عكس مقولة الفن للفن، فهنا الفن يكون دائما وأبدا للحياة، بمعنى أن الأديب ملتزم إزاء واقعه أو وطنه ومجتمعه، فهو مسؤول عن تلك القضايا التي تخص الوطن والمجتمع وبطبيعة الحال عين الإنسان الواعي ذواقة فهناك دائما مؤيد ومعارض في كل موضوع، وبخصوص الأدب الهادف هناك من يرى أن الأديب يؤدي منفعة وهناك من يرى عكس ذلك فهو مجرد تسلية، بينما الواقعية تبنت فكرة الأدب الواعي بشكل كبير،فعندما يصور الواقعيين المصورين يرون الأشياء بطريقة حسية بارعة ممتعة، ولكن أصحاب الأهداف يرونها رؤية حسية فكرية ثقافية تؤدي رسالة معينة، فالواقعية الواعية ترى بأن الإنسان كائن عاقل متطور يمكنه تحسين واقعه إلى الأفضل وذلك من خلال الأفكار الهادفة والواعية المتعلقة بالواقع المعيش لا الخيال الذي غرضه التسلية والمتعة فقط وبطبيعة الحال الأديب هو خير قناة تعب رمن خلالها هذه الرسائل أو الأفكار الهادفة والمهمة التي تحمل في طياتها حسه المرهف ومشاعره الذّواقة.

وقد كان أثر" بلزاك "حاسما في انتصار الواقعية، إذ أنه هو الذي أدخل مصطلح " milieu" الفرنسي الذي يعني البيئة أو الوسط بكل موحياته المتشابكة في الأدب ونقله عنه علماء الاجتماع وكبار النقاد والكتّاب مثل"تين"و"زولا"، وتعد مقدمته التي كتبها عام 1842 لمجموعته القصصية الكبرى"الكوميدياالبشرية" والتي أذاع فيها هذا المصطلح لأول مرة بمثابة الإعلان عن المذهب الواقعي،كما كانت مقدمة "كروموبل""لفيكتور هوجو"هي إعلان الرومانتيكية.[2]

[1] – عباس خضر، المرجع السابق، ص(12-13).

[2]– صلاح فضل، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط/2، 1980، ص15.

ونعود إلى الأصول الاشتراكية الأولى للواقعية فنجد أن"أنجلز"بالذات كان حريصا على تحديد كثير من القضايا ذات الأهمية الكبرى في تصور وظيفة الأدب في المجتمع وفي رسم بعض المعالم الهامة في طريقة قيامه بهذه الوظيفة من خلال قضيتين أساسيتين هما الالتزام والاستلاب.أما بالنسبة للالتزام فقد كان صريحا في الدعوة إلى أن يكون "الاتجاه" في الأدب نابعا من الموقف والأحداث نفسها، بدون أن يشار إليه بشكل مباشر،كما أنه لاينبغي للشاعر أن يعطي القارئ حلا جاهزا لمستقبل الصراعات الاجتماعية التي يصفها، فالقصة الاشتراكية كما يقول تحقق هدفها على الوجه الأكمل عندما تحطم الأوهام التقليدية الشائعة، عن طريق الوصف الأمين للظروف الواقعية.[1]

من خلال ما ذكر أعلاه نجد أن بلزاك كان له أثرا عميقا في تبني مايسمى بالواقعية فقد ادخل مصطلح البيئة أو الوسط في الأدب والذي أخذه عنه علماء الاجتماع وكبار النقاد" كتين "و"زولا"،إضافة إلى ذلك قدّم بلزاك عملا مهما جدّا يحمل طابع الواقعية بكل صفاتها، وهو عبارة عن إعلان عن المذهب الواقعي وذلك من خلال مقدمته لمجموعة قصصية كبرى معنونة ب"الكوميديا البشرية"عام 1842، ومثلما تبنى بلزاك مصطلح الواقعية هناك أيضا من نهج هذا المنهاج وسلك الطريق نحو المذهب الواقعي أو ما يسمى بالواقعية، فنجد على سبيل المثال "أنجلز" الذي اهتم كثيرا بوظيفة الأدب في المجتمع، فالعمل الأدبي مرآة عاكسة للواقع وهو رسالة مهمة للتعبير عن هذا الواقع المعيش بكل جوانبه السياسية والاجتماعية والاقتصادية ويمكن الإشارة هنا إلى قضية الالتزام التي تهتم كثيرا بكل ما هو واقعي، بمعنى أن الالتزام مرتبط ارتباطا وطيدا بالواقع فالأديب أو المؤلف يعبر من خلال التزامه عن ما يجول حوله في شتى المجالات الواقعية التي تخص وطنه ومجتمعه، وقد أشار "انجلز "إلى قضيتين أساسيتين هما الالتزام والاستلاب، وبالنسبة للالتزام فينطلق الأديب من المواقف والأحداث التي يعيشها أو التي

[1] – صلاح فضل، المرجع السابق، ص69 .

تدور حوله، أيا كانت هذه المواقف والأحداث سياسية اجتماعية ثقافية وغيرها،وبطبيعة الحال يكون تصويرها بطريقة غير مباشرة فهذا هو الحال الذي آل إليه النص المعاصر حيث يحمل العديد من الدلالات والمعاني والإيماءات التي تبنتها كل من المناهج المعاصرة كالبنيوية والسيميائية وغيرها من المناهج التي أعطت المعنى أهمية كبرى،فالمبدع أو المؤلف بدوره يصنع ذلك المعني الزئبقي الذي من الصعب الحصول عليه أو الإمساك به إلا بقبضة مثقفة واعية، وذلك عن طريق المراوغة أي أن الكاتب يراوغ القارئ ويجعله يسبح في تلك المعاني طويلا للحصول على المعنى المراد وفي هذا الصدد يقول رولان بارت النص هو مجرة من المدلولات وبالتالي الأديب لايعطي الحل الجاهز للمتلقي ليجعله يكتشف ذلك من خلال مخزونه الثقافي،ودون أن ننسى الصدق في وصف الواقع والإخلاص....

ويذهب "انجلز" إلى ابعد من ذلك في شرح طبيعة الالتزام النابع من الموقف إلى حد القول بأنه قد يكون غي مقصود من المؤلف في بعض الأحيان، فهو بهذا التزام عفوي موضوعي لايخضع للرأي الشخصي، ونظرا لأهمية هذه الدعوة في مقاومة الدعاية الرخيصة في الأدب بجدر بنا أن نسجل كلماته نفسها وما أثارته من تأويلات وتعليقات.[1]

وهنا أشار "انجلز" إلى أن الالتزام النابع من موقف معين قد يكون التزام عفوي بمعنى أن الأديب أو المؤلف يظهر التزامه من خلال تعليقاته أو ملاحظاته لكنه غير مقصود، ويمكننا الإشارة إلى أن عمل الروائيين أيضا يكون من خلال عكس الأحداث التاريخية بواقعية ووفاء، مما يتماشى ومبادئ وأسس الالتزام الذي يكون الكاتب من خلاله

[1]– صلاح فضل، المرجع السابق، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، ص70.

كالجندي المسلح والمقاتل في المعركة على حد تعبير الفيلسوف الوجودي "جان بول سارتر"،فهذا الجندي يدافع وبشراسة عن وطنه وقومه وأمته أو عن الإنسانية جمعاء.[1]

الحدث التاريخي في أي امة يحرك أدبها فهو في نهاية المطاف حدث واقعي لا تنساه الذاكرة مهما مرت العصور والحقب، فالحدث التاريخي يهب المؤلفين والكتاب مواضيع واقعية، ويلهم قريحتهم الإبداعية مثلما فعلت الحرب الأهلية في الأدب الاسباني فقد ساهمت في ظهور مجموعة جيل الخمسينيات المتمثلة في الأدباء الذين زامنت طفولتهم تلك الحرب، ومن بينهم "ماريا ماتوتي"التي ترجمت أعمالها إلى ثلاث وعشين لغة، وأما عن أحداث العشرية في الجزائر فقد ولدت مايسمى بـ"أدب المحنة أو "الأدب الاستعجالي"الذي نمّى الالتزام الوطني لدى الأدباء وحمل أهدافا إنسانية.[2]

2 / أنواع الالتزام:

1/2- الالتزام القومي والوطني:

تمتد رقعة البلاد العربية فوق مساحة واسعة من الأرض، متصلة متلاصقة تملأ غربي آسيا وشمالي إفريقيا، وتكوّن زاوية هائلة قرنتها شبه الجزيرة، حول شرقي البحر الأبيض وجنوبيه، وتنتظم أقاليم مختلفة الطبيعة بين سهول ونجود وتهائم وصحراوات وجبال، تتباين خصائصها من حيث طرق المعيشة وأنواع الإنتاج، ولكنها يكمل بعضها بعضا، وتؤلف جميعا وحدة لا تقبل التقسيم ولا الاختصار.[3]

---

[1]- ينظر، فريدة مغتات الواقعية والالتزام عند عز الدين جلاوجي وآنا ماريا ماتوتي، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، ع/ 14،2014، ص9.

[2] - ينظر، المرجع السابق، فريدة مغتات، الواقعية والالتزام عند عز الدين جلاوجي وآنا ماريا ماتوتي، ص13.

[3]- موسى الحسيني، القومية العربية، دار الأحد للطبع والنشر، بيروت، د/ط،د/س، ص 15 .

إذن نجد أن المساحة العربية على وجه الكرة الأرضية شاسعة جدّا،ومتنوعة المناخ والأقاليم من سهول وهضاب وصحاري، كما أن العالم العربي متنوع من حيث الثقافات والعادات، بطبيعة الحال هي عادات مبدأها الأساسي واحد داخل الشعوب العربية لكنها تختلف نوعا ما من منطقة لأخرى، وقد عُرف عن العرب أثناء سيادة محمد صلى الله عليه وسلم- سيّد الكون - أنهم كانوا أشدّ وأقوى وذلك يعود إلى قوميتهم المتماسكة والقوية، فقد عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدا على جعل العرب والمسلمين أمة واحدة لا يفرقهم أي شيء مبنية على الحدة والنظام، إضافة إلى عدم التمييز بين القوي والضعيف فكلهم واحد ولا فرق بينهما، ويكمن أساس نظامهم ووحدتهم الدين الإسلامي الحنيف والسنة النبوية الشريفة، لكن أعداء الإسلام كثر فقد عملوا جاهدين على تفرقة الوحدة العربية التي كانت شامخة في سماها واستطاعوا غرز أنيابهم السّامة في تلك الوحدة القومية العربية والإسلامية، ليصل العالم العربي أضعف حالاته بعد أن كان أقوى بكثير، لذلك من واجب الأديب الملتزم أن يتمسك بالالتزام القومي لأن فيه شحذ للهمم وفيه أمل للعودة إلى ذلك الزمن الجميل الذي كانت فيه الأمة العربية أمة واحدة وفكرها فكر واحد، أمة متماسكة مرصوصة لا يزعزعها أي كيان سر قوتها العقيدة الإسلامية الصحيحة، ويكمن الالتزام القومي للأديب في أن يلتفت إلى قضايا أمته السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية وغيرها، مع طرح رؤيته الخاصة لوجود حلول مستقبلية لتلك القضايا العالقة فهذا من أهم التزاماته، والإنتاج الأدبي الذي لايحمل غاية أو منفعة لا جدوى من جماليته الفنية التي غرضها المتعة والتسلية فقط." إن الهدف من القومية النهائي هو تحقيق الخير الأوفر للعدد الأكبر من العرب أو توفير حظهم من الرخاء المادي والمعنوي، ومنه يتهيئوا لخدمة أنفسهم والإنسانية كافة..[1].وذلك لا يأتي إلا ببرنامج اقتصادي واجتماعي وسياسي، مؤسس على دراسة واقعية لأوضاع البلاد العربية العامة

[1]- المرجع السابق، موسى الحسيني، القومية العربية، ص51 .

والخاصة، يسموا دائما إلى تحقيق الهدف النهائي ويتوصل إلى ذلك بوسائل يصفها، مستمدة من تاريخنا واستعدادنا وظروفنا."[1]

إن أهم شيء لأي دولة أو أمة هو الوحدة والتماسك والتعاون والتآزر، فالقومية هي في حد ذاتها وحدة، وهذه الوحدة تهدف إلى تحقيق الأمن والاستقرار والطمأنينة والسلم لهذه الدولة أو الأمة الإسلامية، وعند التماسك والاتحاد تأتي القوة العظمة التي من خلالها يستطيع القوم أن يخدموا أنفسهم بالدرجة الأولى ثم الناس بالدرجة الثانية، وذلك في كافة الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، دون إهمال أي جانب من جوانب الحياة، فعندما يقوم أديب بدراسة واقعية عن البلاد العربية دون لبس أو ضبابية، دراسة واضحة حقيقية غير مزيفة تمتاز بالصدق والوضوح يستطيع الأديب من خلالها أن يقترح حلول لتلك القضايا العالقة وفي هذا الصدد سنشير إلى الالتزام القومي حيث أن الأديب الملتزم أو الشاعر الملتزم – الشاعر العربي بوجه الخصوص– حين يلتزم نحو قوميته فهو يقترح حلول للمشاكل التي تعاني منها البلاد العربية كأن يتحدث شاعر جزائري عن فلسطين أو عن العراق أو أي دولة عربية هنا هو ملتزم التزام قومي وهو العروبة مسارهم واحد ومصيرهم واحد وفي قوله تعالى: " ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم"[2]

إن العمل لتحقيق هدفي البلاد العربية، وهما التحرر والإتحاد، يجب أن يسيرا جنبا إلى جنب، لأنهما يتمم بعضهما بعضا. فالاتحاد لا يتم إلا إذا تحققت الحرية التامة لكل بلد عربي، والحرية التامة لكل بلد عربي يسهل تحقيقها بوجود ترابط قوي بين البلاد العربية المستقلة، يمكن أن يستعمل لتحصيل حرية باقية . وتعاون الدول العربية في سبيل حرية فلسطين وعروبتها شهيد، وقد أجاد الشعراء والأدباء العرب في التعبير عن هذه

[1] – المرجع السابق، موسى الحسيني، القومية العربية، ص51 .

[2] – سورة البقرة، الآية،120.

القضية المهمة، فهذا يقع على عاتقهم لأنهم عرب وروح الانتماء دائما مهمة و إن اختفت فهي لا تموت أبدا لأن الشعراء الملتزمين من مسؤولياتهم إزالة الحبر الكثير حول القضايا العربية مهما كانت، إن وسائل العمل القومي متعددة ومتشعبة، وفي ميدان الخدمة العامة متسع للجميع وكل عربي يستطيع أن يخدم ويساعد في تحقيق الأهداف القومية متعاونا مع إخوانه خاصة الأديب أو الشاعر. [1]

ونجد أن العديد من الشعراء الملتزمين يقومون بكتابة شعرهم في ديوان واحد أي عمل مشترك مثل ديوان " فلسطين في الضمير الإسلامي والوجداني الإنساني " هذا الديوان عبارة عن مجموعة من القصائد لشعراء مختلفين حول القضية الفلسطينية، وعلى ذكر الالتزام القومي يمكننا أيضا أن نشير إلى الالتزام الوطني بمعنى أنه يوجد فرق بين الالتزام القومي والالتزام الوطني، فالالتزام القومي كما ذكرنا سابقا يكون من خلال أن يتحدث أديب أو شاعر عن قضية عربية تخص البلاد العربية كلها، باحثا عن حلول لتلك القضية، أما الالتزام الوطني فيكون كالتالي: أن يضع الأديب اهتمامه حول قضايا وطنه وأمته ومجتمعه مثل الشاعر الكبير الجزائري مفدي زكريا الذي عبر كثيرا عن الثورة الجزائرية وعن الجزائر كذلك الشاعر الكبير محمود درويش، الذي أبدع في شعره عن القضية الفلسطيني فكما نعلم الشاعر محمود درويش شاعر فلسطيني...

" القومية العربية أو العروبة هي الايدولوجيا القومية العربية، تعتبر هذه الايدولوجيا الأكثر شيوعا في العالم العربي خصوصا في فترة الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين والتي تميزت بالمد الناصري وقيام الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا ويؤمن القوميون العرب بالعروبة كعقيدة ناتجة عن تراث مشترك من اللغة والثقافة والتاريخ المشترك".[2]

---

[1] – ينظر،المرجع السابق، موسى الحسيني، القومية العربية، ص56.

[2]– marefa.org .

ومنه نستطيع القول أن القومية العربية أساسها الإسلام فالعالم العربي معظمه مسلم والدين الإسلامي ينادي بالوحدة لأن التفرقة حرام، لذا فالترابط والتماسك والاتحاد من أساسيات الدين الإسلامي وكل مسلم هو مسؤول عن هذا الاتحاد مهما كانت صفته فالعرب إخوة وكل أديب هو مسؤول عن وطنه وأمته وقومه والالتزام القومي ليس بالأمر الهين فهو من الأعمال النبيلة والمهمة ورسول الله صلى الله عيه وسلم أوصى وبشدة عن عدم التفرقة وشدد على الاتحاد والوحدة، لأنهما موطن القوة والثبات، هنا نستطيع أن نسأل ماهو دور الأديب في ذلك ؟ إن الأديب من خلال إنتاجه يقوم بشحذ الهمم والدعوة إلى التحاد والتعاون، كما نعلم أن الشعر يدخل إلى الأحاسيس والمشاعر دون أن يطرق الباب، ثم يغذيها بالحب والعاطفة الجياشة لحب الغير والخير وهذه خير رسالة قيمة.

2/2- الالتزام الديني:

الحمد لله الذي اصطفى لعباده الدين حقّا قيّما، وصراطا مستقيما، لا عوج فيه ولا حرج، ورضي لنا الإسلام دينا يحقق السعادة لمن التزم حدوده بلا نقص وتفريط، ولا زيادة وغلو، وجعله منهجا عدلا وسطا لاوكس فيه ولا جنف، ولا شطط. فمن آمن بالله وأسلم له حقا التزم صراطه المستقيم، ومناهجه العدل. فلم يقصر مفرطا، ولم يزد غاليا، بل سار قصدا، وابتغى رضوان الله بالتزام حدود دينه، وأحكام شريعته لعباده.[1]

ولقد عرف الشعر العربي منذ الأزل وعبر تاريخه الطويل أشكالا من القصائد منها القصيدة الدينية التي أسهمت في تغذية الوجدان العربي والإسلامي على مر العصور وذلك عبر أشعار رابعة العدوية والإمام البوصيري ومحمد إقبال وأحمد شوقي وسواهم من كبار الشعراء، فالقصيدة الدينية جزء من الأدب الإسلامي وتتميز بكل مميزاته، من احترام القيم الأخلاقية، والسلوك الحميد والبعد عن المجون أو الفحش أو القول والقذف، وهي

[1]- عبد الرحمان حبنكة الميداني، الالتزام الديني منهج وسط، د/دار النشر، د/مكان النشر، د/ط، د/س، ص5.

تتسع اتساع هذا الأدب لتحتوي كافة الموضوعات الأدبية حتى الموضوعات الحسية المهم أن تكون المعالجة فنية أخلاقية هادفة يعني إبداع فني ذا منفعة، إن الأديب والشاعر الإسلامي ملتزم التزاما نابعا من ذاته من دون أن يلفته إليه احد فهو فطري وطبيعي بلا قهر وإكراه ولا افتعال، وهناك العديد من النماذج التي تدل على ذلك ولقد وقع الاختيار على الشاعر الجزائري الكبير محمد جربوعة في هذا البحث، فهو شاعر إسلامي ملتزم.[1]

وإذا وجدنا أن الأديب قد تماشى والناموس الكوني في جماله وتناسقه وتوازنه.. ويهدف إلى إنشاء إنسان صالح مستقيم، إنسان يتوافق من ناموس الكون، لا يشذ عنه بطريق الانحراف، ويتخذ وسيلته إلى ذلك عرض " الجمال " و" القبح " بمعناهما الواسع ومجالاتهما الشاملة في المشاعر والأفكار والوجهات والسلوك بحيث تشتاق النفس في النهاية إلى الجمال، وتنفر من القبح دون أن تحس"ضغطا" في هذا الاتجاه أو ذاك، وذلك يكون أديبا ملتزما بالتصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة، لأن جمال الكون من أروع ألوان الجمال التي تميل لها النفس وتستجيب لها في فرحة وانطلاق، لكن الآلف والعادة يفسدان التطلع إلى ذلك الجمال الخلاب، فتتبلد الحواس لما ترى وما تسمع، وتمر بكل شيء كأنما لا وجود له وتنسى بحكم التعود انه رائع وأنه جميل وعندئذ لابد من إيقاظ النفس من سباتها لتتفتح "وتستنشق "الحياة وبطبيعة الحال هذه مهمة الأديب الملتزم الفطن الذي يهمه أن يوقظ النفس من تبلدها وسباتها لتتفتح وتستنشق الحياة، فإن الإنسان حين تدرك حسه البلادة ينحصر في دائرة ضيقة ركيكة خاملة لا تنبض فيها الحياة فالنفس المتبلدة الراكدة لا تجيش لحمل أمانة الخلافة في الأرض، ولا تنزع إلى الخير، ولا تأمر بالمعروف، ولا تنهى عن المنكر، ولا تبني ولا تنمي، ولا تغير في هذه الأرض، لان ذلك حركة فعالة مريدة، والحركة لا تنشأ من التبلد والخمول فمن أجل خير هذه النفس وصلاحها، ومن أجل رفع الحياة البشرية وترقيتها يسعى القرآن الكريم إلى تحريك هذه

[1] – ينظر، المرجع السابق، فؤاد عمر علي البابلي، الالتزام في شعر محمد التهامي، ص 29.

الحواس المتبلدة لتنفعل بالحياة في أعماقها، وتتجاوب تجاوبا حيا مع الأشياء والأحياء ومن خلال ذلك يلتقي المستحسن شرعا بالمستحسن طبعا في أروع صورة في ثنايا القرآن الكريم، ويصبح الأديب الملتزم بهذه الرؤية في مجال واسع جدا لتصوير الحياة البشرية في شتى نواحي حالاتها ومجلاتها وتصوير النفس البشرية في شتي انفعالاتها وتقلباتها وكذلك تصوير القيم الإنسانية في شتى مستوياتها ودلالاتها...معنية كلها بنواميس الوجود وبفكرة الجمال الأصلية العميقة في بنية الكون والحياة والإنسان. هناك مجال تلتقي فيه "الحقيقة" الكونية "بالجمال" الكوني، بلا تعارض، ولا اصطدام، لأنه لا تعارض في فطرة الكون بين الحقيقة والجمال.[1]

ومعنى ذلك يصبح الأديب الملتزم ينظر إلى كل من الكون والحياة والإنسان برؤية إسلامية، وبتعبير آخر لا يكون الالتزام بهذه الرؤية تضييقا على الأديب أو إلزاما له، بل إنه فتح للآفاق الواسعة يعيش فيها الأديب مع الجمال في الكون والحياة في الإنسان، لأن مقاييس الجمال عند الإنسان هي ذاتها مقاييس الكون كله وفي هذا الصدد يقول: الأستاذ محمد قطب وهو يرسم منهج الفن الإسلامي: " فحياة الإنسان لا تكون جميلة – بادئ ذي بدئ – إلا إذا كانت "نظاما" طليقا من " الضرورة " فالفوضى المنفلتة من كل قيد ليست جمالا ولا كذلك الحياة في داخل قيود الضرورة.[2] كما أن الكلام كل مل كان جميلا اتسع وأخذ آفاقه في الساحة الفنية إضافة إلى الجمال يجب أن يكون الكلام ذا قواعد ونظام محكم يتماشى مع تعاليم الإسلامي، لأن الكلام القبيح تنفر منه النفوس، بطبيعة الحال القبيح سواء كان قبحا في الشكل أو المضمون، والأديب الملتزم غايته الوحيدة في دينه أن ينشر كل مكارم الأخلاق النبيلة لتنشأ وتترعرع أجيال على شعره وإنتاجه الإبداعي الأدبي فهذا من أهم مسؤولياته.

---

[1]– ينظر، محمد رأفت سعيد، الالتزام في التصور الإسلامي للأدب، دار الهداية، د/مكان النشر، ط/1،1987، ص(15– 16) .

[2] – المرجع نفسه، ص (15– 16).

يمكننا أن نصف الأمة العربية بأنها أمة النكبات والمصاعب والكوارث من جهة ومن جهة أخري يمكن وصف هذه الأمة بأنها أمة المقاومة والتحدي والتصدي والمغالبة والشعور بالذات. ولا عجب أننا نجد في عروق هذه الأمة يجري جدولان للثقافة والقيم العربية ثم الثقافة والقيم الإسلامية، وكلتا الثقافتين تتشوف أعالي الأمور لا سفسافها (حديث نبوي)، وفي نظرنا أن تلك المصائب المتعددة التي حاقت بأمتنا عبر التاريخ جعلت منها أمة تتحسس ما هو وافد ومجلوب، وهذه هي الخلفية النفسية التي تكمن وراء إشكالية كبيرة من إشكالياتنا المعاصرة ألا وهي مزدوجة أصالة/ومعاصرة، دائما هناك قطبين، ويمكننا القول مع مالك بن نبي: أن حظ أي أمة من الوجود والتقدم إنما يتوقف على مدى حظها من القيم الروحية وهنا ركز على العقيدة والإيمان فالإنسان دون إيمان ودين لا جدوى من وجوده، ودائما وأبدا نبقى مع الأديب الملتزم الذي نجد ذلك طاغيا في إنتاجه الأدبي فهو دائما ما يتحدث عن الأخلاق والدين، وكثيرا ما يتسم هذا الإنتاج بذكر سيرة الهادي المصطفى محمد عليه الصلاة والسلام، وغيرها من أمور الدين والصلاح ويظهر ذلك في إنتاج شاعرنا الكبير محمد جربوعة وغيره كثر، ولكن في نظرنا ليس كل فكر وعي، بل الوعي هو ذاك الفكر الذي يتعامل مع هموم الأمة ومشاكلها العالقة، وبيان ذلك أن الله والأمة واجهتان لحقيقة واحدة.[1]وهذا ما يؤكده النص القرآني "إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون"،[2] فالالتزام يتطلب التوجه إلى هذه الأمة ومشاركتها أحزانها وأفراحها والبحث عن حلول لتلك الأحزان التي لا تفارق الحياة.

[1] – ينظر، برهان رزيق، الوطن في الإسلام، دار الأنصار، دمشق،ط/1، 1997، ص (11 – 12).

[2] – سورة الأنبياء، الآية 92.

ومن الواضح أن المسلم لا يهمه الدفاع عن حدود وطنه أو أرضه فقط، والالتزام الأهم والوحيد هو الدفاع عن الدين، مع العلم أن مصالح أي شعب وحقوقه وقيمة تاريخه ومستقبله تتداخل مع أرضه ولا يمكن أن نتصور هذا الانفكاك بينهما، والكلام عن سياسة تتأبّى الواقع، وتعلو عليه الأمر الذي حدا نابليون للقول:" أن سياسة الدولة قائمة في جغرافيتها"، وقول موريس باريس:" إن السياسة قائمة على الأرض والموتى في التاريخ " وقول الدكتور جريشة: "والثقل في الإسلام للدين قبل الأرض" ومن هذا المنطق نجد أن من أولويات المسلم الدفاع عن دينه بشراسة كبيرة جدّا مهما كانت الوسائل التي سيدافع بها المهم أن يدافع. كالأديب يجب أن يصوب اهتمامه الأولي نحو الدفاع عن دينه والإشادة بكل تعاليمه السّامية، لأن هذا الدين يستحق أن يهدر المسلم عنه كل ما يملك ومن الدين يأتي الوطن والأرض، كما نعلم أن من يمت في سبيل وطنه هو حبيب الله وفي الجنة مسكنه، وبالتأكيد من يدافع عن الدين والوطن له جزاؤه عند الله سبحانه وتعالى.[1]

وطبقا للدين الإسلامي يسهم الالتزام الديني باستقرار المجتمع وتماسكه وضمان قيام العدالة فيه ويبعده عن أسباب التعاسة والشقاء والاستبداد والفساد كما يسهم في فهم الذات وتقبلها والوصول بها إلى أعلى مستويات الكمال، بالإضافة إلى أنه يساعد في تهذيب النفس البشرية وتحقيق الشخصية السّوية، ويسهم الالتزام الديني في بناء الشخصية من الناحية الإيمانية والقيمة ويقي الفرد من الوقوع في الاضطرابات ويساعد على توفير أسباب التوافق والتفاعل والإنتاجية كما يعد طريق للسعادة لأنه ينعكس على سلوك الفرد ويساعد على

[1]- ينظر، المرجع السابق، برهان رزيق، الوطن في الإسلام، ص21.

تحقيق الراحة والطمأنينة النفسية وبالتالي فالالتزام الديني هو حالة تنظم علاقة الفرد بخالقه وتُحي الضمير وتنمي الخصائص النفسية الإيجابية كالصبر والتسامح والإيثار. [1]

3/2 – الالتزام الإنساني:

الإنسانية لغويا مصدر صناعي من إنسان وهي ضد الحيوانية أو البهيمية وتعني الصفات التي تميز الجنس البشري عن غيره من الأنواع، وتُعرف بأنها حاله تصف الجنس البشري عن سواه من المخلوقات، كما تُعرف وفقا للفيلسوف "ايمانويل كانط "بأنها هدف الأخلاق وأساس فكره الواجب، أما بالنسبة لعالم الاجتماع والفيلسوف "أوجست كون " فإن الإنسانية تشكل كائن جماعيا يتطور مع الزمن، ويرتبط مفهوم الإنسانية بقيم معينه مثل: الإحساس، والإيثار، والاحترام والتعاطف،،والأخوة، وقبول الآخر، والتفاهم، وغيرها والتي تعتبر مجموعه من الالتزامات الأخلاقية التي ترشد الإنسان إلى كيفيه التفاعل مع بني جنسه[2]

أما الأدب الإنساني فهو أي نص من الشعر أو النثر، يحمل معاني إنسانيه خالدة خلود الزمان والمكان والإنسان، وهذا النص يترجم إلى لغات أخرى، ولم يفقد رسالته الإنسانية، ويقوم هذا الأدب على مبادئ وأسس بيّنة مهمة هي، أن الأدب العظيم الراقي يحتفظ بقيمته عبر الزمان والمكان، وأن النص الأدبي يحمل معناه في داخله، وإن الطريقة الصحيحة المثلى للتعامل مع النص الأدبي هي قراءته وتحليله من دون أفكار مسبقة، أو تحيزات فنيه أو إيديولوجية وأن النص الأدبي يشتمل على حقائق إنسانيه راسخة وخالدة ويستطيع أن يخاطب الحقائق الجوهرية التي تعرفها الروح والنفس، وإن غاية الأدب الأساسية هي تنميه الحياة البشرية ونشر القيم الإنسانية النبيلة والحميدة، وقد

[1]– محمد هاني عبود، العلاقة بين الالتزام الديني وقوة الأنا لدى عينة من طلبة الجامعة الهاشمية، مجلة الدراسات التربوية والنفسية، جامعة سلطان قابوس، مجلد 14، ع/3، 2020، ص3.

[2]– mawdoo3.com .

تكرست هذه النزعة في الإبداع الأدبي وصار لها مبدعون ينتجون على حسب أفكارها وتوجّهها، إضافة إلى ذلك لقد ظهرت لها مصطلحات متعلقة بالإنسانية في الأدب، والأدب الإنساني واتّسع مفهوم الأدب الإنساني حتى شمل عده اتجاهات مهمة الأخلاقي والعالمي والأدب الخالد والراسخ في الذاكرة، والأديب الملتزم نجد في إنتاجه كل ما يحمل رسالات إنسانيه لأن الالتزام الإنساني التزام مهم في حياة الأديب الملتزم وهو من أهم مسؤولياته .[1]

لطالما تداخل الذاتي بالغيري والفردي بالجماعي في الأدب، وذلك عندما يتحول الإحساس من عمق الذات إلى أعماق الذوات الأخرى عبر إدراك الآخرين الناس، ويصير الألم ألما مركزيا يرتبط بألم الناس، فيرفض الشاعر/ الكاتب ما يراه سببا لألمهم ويتعدّى إليه في محاوله لاستقراء ذاكرة عامّة، حملت إحساس الشاعر الذي تجاوز به الانتماءات المعلقة والذات الضيقة، وصار بنيه ثقافيه كليه عُليا، ربما لأن الكاتب يبحث عن الأمان عند الناس عندما يتقاسم معهم رعب عالم شديد القسوة، بأن يذوب فيه معهم.[2]

إذن تنطلق الذات الإنسانية من الفردي لتصل في نهاية المطاف إلى الجماعي في الأدب، وذلك عبر إحساس الفرد بالذوات الأخرى وشعوره بها ليعم هذا الإحساس على الناس جميعا، فالأديب الذي يعالج قضايا إنسانيه في إنتاجه الأدبي يعرض من خلاله القضايا الإنسانية ليشارك الناس في ألامهم وكذلك آمالهم، محاولا في ذلك البحث عن حلول لتلك القضايا العالقة أو طرح فرضيات للوصول إلى نتائج مهمة في الحياة البشرية فالأديب هو فرد من أفراد المجتمع أو جزء من هذا العالم يعيش ما تعيش الناس ويحس ما تحسه الناس، يحاول دائما أن يتقاسم هؤلاء الناس همومهم لأن العالم الإنساني عالم

---

[1]– ينظر،عزيز حسين علي الموسمي، النزعة الإنسانية في أدب زيد الشهيد الروائي، أمل الجديدة طباعة نشر توزيع، د/مكان النشر، د/ط، د/س، ص (16–17).

[2]– المرجع السابق،عزيز حسين علي الموسمي، النزعة الإنسانية في أدب زيد الشهيد الروائي، ص45.

تتعدد مجالاته فالعالم الذي نعيش فيه عالم شديد القسوة والإنسانية فيه مستبدة ومقهورة بشكل كبير جدّا، والأديب الملتزم من مسؤولياته أن يأخذ بعين الاعتبار كل هذا ويحاول جاهدا أن يكتب في طيات إنتاجه عن هذه الإنسانية ليخفف ولو قليلا عن هموم الناس فهو شخص مسؤول عن وطنه وأمته وإنسانيته، عنهم جميعا...

إن الشعر كتاب المشاعر الإنسانية التي لا تحد في غاية ولا تنحصر في موضوع منذ بدأ الإنسان التعبير عن مشاعره، وسجل فيها أحاسيسه حتى الساعة – التي لا يبقى له فيها وجود على هذه البسيطة – ومن هنا كانت المفاضلة بين أساليب التعبير عن مشاعر وأحاسيس مهمة ليست يسيرة، بيد أن البواعث والدوافع حين تكون صادقه تصل وتؤثر في المتلقي الذي هو جزء فاعل في الخطاب الشعري.[1]

يعد الشعر تعبير انفعالي وجداني لموقف دفين كان له أقوى الأثر في نفس الشاعر وهو الطريقة الوحيدة التي اهتدى إليها الإنسان بحكم تكوينه البيولوجي والنفسي للتعبير عن انفعالاته، وهذا ما دعا الشاعر إلى إنتاج قصيده تعبر عن مخالجه ومشاعره وتخاطب مشاعر المتلقين، لتقيس درجه انفعالهم الظاهري مقارنه بانفعاله الداخلي والخارجي، لأنه لا يطلب من الشاعر أن يتعمق في أغوار الآخرين يعرف مشاعرهم ولكن يكتفي بردة الفعل الظاهر أمامه فقط، فالشعر فن جميل له هيبته وهو ينشأ عن الناحية الوجدانية للنفس الإنسانية، فيعبر بلغته الكلامية الإيقاعية عن أنواع الانفعال والعواطف والانفعال قوه وجدانيه تسيطر على النفس، وتصطحبها تغيرات جسميه ظاهره، وأخرى عقليه باطنه، و اضطرابات عصبيه من الممكن أن يلحظها الإنسان في نفسه وفي غيره في عده أحوال كالغضب والرضا والحزن والفرح والتفاؤل والتشاؤم والفزع والهدوء إن رؤية الشاعر تنبثق من تلك الهوة هو الفاصلة بين ما هو قائم، وبين ما هو مرجو حصوله في

[1]– المرجع السابق، فؤاد عمر علي البابلي، الالتزام في شعر محمد التهامي ص59.

المستقبل وهنا نقول – الوعي الواقعي والوعي المحتمل –وتحمل هذه الرؤية همّ إعادة تشكيل الحياة، والعلاقات، وصياغتها وفق بُنى سليمة.[1]

[1]– المرجع السابق، فؤاد عمر علي البابلي، الالتزام في شعر محمد التهامي، ص (93– 94).

الفصل الثاني:(مظاهر الالتزام في شعر محمد جربوعة)

1) ملامح الالتزام في ديواني "ألف ليلة وليلة" و"اللوح"

- الالتزام القومي في ديواني "ألف ليلة وليلة" و"اللوح"
- الالتزام الديني في ديواني" ألف ليلة وليلة" و"اللوح"
- الالتزام الإنساني في ديواني "ألف ليلة وليلة" و"اللوح"

2) أشكال الالتزام في ديواني "قدر حبه "و"ثم سكت"

- النزعة القومية في ديواني "قدر حبه"و"ثم سكت"
- النزعة الدينية في ديواني "قدر حبه"و "ثم سكت"
- النزعة الإنسانية في ديواني"قدر حبه"و"ثم سكت"

3) خصائص الالتزام عند محمد جربوعة.

1) ملامح الالتزام في ديواني "ألف ليلة وليلة "و" اللوح"

1/1- الالتزام القومي في ديواني" ألف ليلة ولية" و"اللوح"

أ- ديوان ألف ليلة وليلة:

قبل كل شيء وكما تحدثنا سابقا الالتزام القومي يكون بأن يشارك الأديب قومه أحزانهم و أفراحهم، مثلا شاعر عربي ينظم قصائد حول قضايا العرب وذكر الأمجاد والبطولات العربية ويعد الشاعر محمد جربوعة شاعر ملتزم بمعنى الكلمة ونجد ذلك جليا في أشعاره، وبما أننا سنتحدث عن الالتزام القومي في ديوان ألف ليلة وليلة من خلال القصائد التي كتبها في طيات هذا الديوان سنحاول البحث عن ذلك، ومنه نلحظ وجود التزام قومي في القصيدة المعنونة بـ"وقفة على ما أبقى الحقد من سيّدة (العواصم) دمشق" وهنا بداية بالعنوان نستطيع أن نصل إلى فكرة، فعندما وضع الشاعر عنوان"وقفة على ما أبقى الحقد من سيّدة العواصم دمشق" وهو يقصد جولة في الوضع الذي آلت إليه دمشق من طرف الأعداء، فقد عبر عن لفظة العدو بلفظة الحقد لأن دمشق هي منبع الحضارة والأصالة العربية، وكانت عيون العدو عليها تخطط كيف تُسقط هذه العاصمة وجاءت القصيدة كالتالي:

ولا تعوّذ في خوف، ولا قرأ .
فقط أساح وسالت عينه، وبكى
ومال نحو جدار الحزن، واتّكأ.[1]
وقام فوق ركام القصف يرمقها
وهو الذي يوقف الأصحاب..ما فتأ.
وقد تفتّح جرح الأمس في دمه
ومن أماكن حبّ الأمس ما نكأ.

[1]- محمد جربوعة، ديوان ألف ليلة وليلة، د/دار النشر، د/مكان النشر، ط/2،2015، ص19.

هذي دمشقُ، تكاد العين تخطئها[1]

ممّا ألمّ بها بلوى، وما طرأ.

هنا ملاعبُ ضبيات، ركضن هنا

يا حسن ما كان يا سبحان ما برأ.

قف عندها وجلا...ألق السلام على

ما قد محا ذلك (النيرونُ)أو نسأ.

وما برا الله مثل (الشام) عاصمة

حسنا، ولا مثلها في جرحها كفُؤا.

دمشق جنّية زرقاء من قدم

تهدي عيون كفيف العين نهر رؤى.

من كان فارغ قلب من هوى ملأت

له، وزادته حفنات إذا امتلأ.

يحسُّ من زارها يوما، كأنّ له

فيها مواجع ذكرى..أو بها نشأ.

وكلّما باس أحجارا بها دنفُ

يزداد من حبّ ما قد باسه ظمأ.

ومن أحبّ دمشق الشام، تتعبه

مهما أقام بها أو في البلاد نأى.[2]

بضمّة تمسحُ الأوجاع عن قلق

غريب دار، وتُنسي همّ من لجأ.

إن قيل (بغداد)..مالت في تبغددها

---

[1] - المصدر السابق، ألف ليلة وليلة، ص 19 .

[2] – المصدر نفسه، ص20 .

دمشق أو قيل (صنعا)..أصبحت (سبأ)

أو قيل (بلقيس)..شدّت ذيل مئزرها

وسابقت في الفيافي الهدهد النّبأ.

أو قيل (قد شُغِفتْ)..قامت لحجرتها

واعتدّت لنساء الكيد متّكأ

الحسنُ فيها، ومنها أصله، وبها

وينتهي مدهشا فيها كما بدأ[1]

وفي هذه القصيدة نجد أن الشاعر محمد جربوعة يتأسّى على ما آلت إليه العاصمة دمشق حين قال: فقط أشاح، وسالت عينه، وبكى

ومال نحو جدار الحزن، واتّكأ

هنا يصور الشاعر الحزن الشديد الذي يصيب من يرى حال دمشق التي كانت مجد للحضارات فكلمات خوف، بكى،حزن،وجرح..وغيرها في القصيدة تدور حول حقل دلالي واحد وهو الألم والشجن، إضافة إلى ذلك نجد في السطر الخامس قول الشاعر:وقام فوق ركام القصف يرمقها ويصور الحروب الأهلية التي دمرت البلاد واختلّ الأمن فيها، وهو يرى بأن دمشق لم تعد تُعرف يتعجب كيف كانت وكيف أصبحت لما أصابها فيقول:

هذي دمشق، تكاد العين تخطئها

مما ألمّ بها بلوى، وما طرأ.[2]

كذلك يتعجّب لحال دمشق، أما عن لفظة (النيرون) فهو إمبراطور يوناني تولى الحكم وعمره 15 سنة...أظهر من الجبروت والوحشية والجور والظلم والطّغيان وغيرها من الأعمال الوحشية، و عن لفظة بشار فقد أخذ الشاعر هذه اللفظة كرمز لما فعله النيرون في روما

[1] - ألف ليلة وليلة، مصدر سابق، ص (20-21).

[2] - المصدر نفسه، ص 19.

وأسقطه على بشار الأسد الذي سجل له التاريخ العديد من الجرائم.[1] إن حب الوطن غريزة في كل كائن حيّ ؛ النّمل والنحل من الحشرات – مثال–فهي تبني أوطانها ، وتأوي إليها، وتدافع عنها، والأسماك منها مهاجر يقطع البحار سباحة، ثم تؤوب بعدُ إلى أوطانها. والحيوانات تألف مواطنها، وتدافع عنها، وتأوي إليها – حتى الحميرُ– والشاعر قد عاش في دمشق زمن.[2]

ثم يذهب الشاعر إلى وصف دمشق بوصف جميل ليقول:

وما برا الله مثل الشام عاصمة

حسنا، ولا مثلها في جرحها كُفؤا

دمشق جنية زرقاء من قدم

تُهدي عيون كفيف العين نهرُ رؤى

ليصل إلى قوله:

بضمّة تمسح الأوجاع عن قلق

غريب دار، وتُنسي همّ من لجأ [3]

وكأن هذه العاصمة تشفي المريض من أي مرض به خاصة داء القلب المهموم وتولج الصدر أيضا بالفرح. فحب الوطن غريزة إنسانية، وكل سويٌّ من البشر يحبُّ وطنه، وينتمي إليه، ويدافع عنه، ومن لم يجد في نفسه.. ومن لم يجد في قلبه.. من لم يجد في ضميره وعقله حب وطنه، فهو شاذٌّ عن الإنسانية منحرف عن الفطرة السويّة، وهو بحاجة إلى علاج ودواء!!.[4]

وقد ورد للشاعر محمد جربوعة أيضا قصيدة مهمة في الالتزام القومي في هذا الديوان والمعنونة ب (برقية اعتذار علنية إلى الزعماء العرب) وهي كالتالي:

أخطأت..عفوا..أنا الغلطان يا الزّعما

---

[1]-elaph.com/web/opinion/2011/6/664369.html

[2]– أبي عباس محمد بن سعيد رسلان، متطلبات الولاء والانتماء، د/دار النشر، د/مكان النشر، د/ط، د/س، ص9.

[3]– المصدر السابق، ألف ليلة وليلة، ص(20– 21).

[4] –المصدر السابق، أبي عباس محمد بن سعيد رسلان، متطلبات الولاء والانتماء، ص10.

وقد أتيت كسيرا أُعلن النّدما

ظننت أن شعوب الشرق (جيدة)

كما روت كتب التاريخ والحُكما

أنا بسيط أقول الشعر...أوهمني

بيّاع (خمسة أحلام) بما حلُما

صدّقت من قال:(فلتعلوا بهمّتكم

فالقعر أضحى – وحقّ الله – مزدحما)

فقلت ما قال شيخ في (موطئة)

في الخمر فيكم،...ولم أرحم إذا رحما

والآن أفتح عيني حين أفتحها

على ملايين تهوى الحزن والألما[1]

وليس يحلو صباح المرء عندهم

إلا إذا ديس تحت النّعل أو شُتما

هذي شعوب تحبّ الذئب، طائعة

وتعشق العيش في غاباته غنما

هذي شعوب تسُبّ الظلم (ساكرة)

وحين تصحو تبوس السوط والصّنما

وليس – أقسم – يستحيي على دمه

من شبّ تحت ظلال النّعل أو هرِما

أعدادنا زبد.....أحزابنا زبد

تهويلنا زبد.....ما فيه قطرة ما

[1]– المصدر السابق، ألف ليلة وليلة، ص (49 – 50).

لمن أبعثر عمري ؟ للذين إذا

مرّوا بصفّ تداعى الصّفّ وانقسما ؟

بأي سرج وضبح سوف أقنعهم...

حتّى النّبيُّ، رسول الله، ما سلِما

سئمت من سقي كوم الصّخر... أتعبني

لو كان يخجل من سقيي، لكان نما

ولا أريد سماع اللّوم من أحد

ففي الجدال بعنف كلأهم عُلما

غرستُهم عربا، سورا لخارطتي

وقد وجدتُّهموا إذ أثمروا عجما

من سوف يقنع من شابت مفارقه

وأبيضّ بؤبؤهحزنا...وقد سئِما ؟

رموش زينب أحلى من شواربهم

وشعر زينب أسمى منهمُ...قسما

وكحل زينب عِندي رغم ظلمته

يفوق في مصر نهر النّيل، والهرما

وشِعر زينب عنوان النضال إذا

كان النضال لديهم يحقر القيَما

سبُّوا الرسول وقد قلنا سنشعلها

ونملأ الأرض من غضباتنا حِمما

لكنّنا بعد أن ضجّت مراكبنا [1]

[1] – المصدر السابق، ألف ليلة وليلة، ص(50–52).

رحنا لباريس، كي نبكي الذي رسما

هذي دمشق عروس الشّرق دامية

وجرح بغداد والأحواز ما ألتأما

والآن نخرج من صنعا، ونتركها

وبعد صنعا قريبا نفقد الحرما

وسوف يأكلنا المنفى ويحرقنا

وسوف نسكن بعد العزّة الخيَما

وسوف ندفن تحت الطين.. يا أسفي

لأنّنا ما حفظنا ويحنا القِمما

وسوف نأكل عشب الأرض، نأكله

ويظهر الحزن منّا في البصاق دما

وسوف نذكر يوما ألف أندلس

كانت لنا زمنا..لمن غنِما[1]

إذن عند تحليل هذه القصيدة نجد بأنها قصيدة قومية بحتة وذلك بداية بعنوانها "فبرقية اعتذار علنية إلى الزعماء العرب" عنوان يعبر عن رسالة إلى زعماء الدول العربية، لأن الشاعر محمد جربوعة تحدث سابقا عن موضوع الزعماء العرب وقال فيهم ما قال، فوجد العيب الأكبر وسط الشعوب العربية هذه الشعوب التي تسكت عن حقها وعن حق تقرير مصيرها فهو رجل كلمة وله هيبة في رؤيته وعندما قال:

أخطأت..عفوا..أنا الغلطان يا الزّعما

وقد أتيت كسيرا أعلن النّدما

وهنا اعتذر منهم ليقول بعد ذلك:

[1] – المرجع السابق، ألف ليلة وليلة، ص(53 – 54) .

ظننت شعوب الشرق (جيّدة) كما

روت كتب التاريخ والحُكما

في هذه الأسطر يلوم محمد جربوعة الشعوب الشرقية، على سكوتها عن المظالم التي تعرضت لها، لكنه حتى وإن ذكر الشعوب الشرقية فهو يقصد كل الشعوب العربية، ثم ذهب إلى فكرة أن العرب كانوا في القمم أو في الأعالي، لكنهم أصبحوا في الحضيض وعبر عن ذلك قائلا:

صدّقت من قال:(فلتعلوا بهمّتكم

فالقعر أضحى– وحق الله – مزدحما).[1]

ليعود ثانية إلى الشعوب أو الرّعية التي تقبل الذّلّ وآهات العيش فيقول:

والآن أفتح عيني حين أفتحها

على ملايين تهوى الحزن والألما

وليس يحلو صباح المرء عندهمُ

إلا إذا ديس تحت النّعل أو شُتِما

فقد عاشت معظم الشعوب العربية مخدوعين في زعمائهم الذين ينهبون أموالهم وعيشتهم منهم، فبعد أن عتب محمد جربوعة على الشّعوب عاد مجدّدا إلى الزعماء فقال:هذي شعوب تحب الذّئب طائعة

وتعشق العيش في غاباته غنما

وهنا من خلال لفظة الذّئب التي أسقطها محمد جربوعة على لفظة رئيس أو زعيم والشعوب تحب العيش في غاباته تحت إمرة هذا الذّئب، الذّي في الحقيقة يلتهم الغنم ويجرّدها، ثم اتّجه الشاعر إلى أن العرب كثُر ولديهم مؤسسات وغيرها لكن لا جدوى كله هباء منثورا قال الشاعر معبّرا عن ذلك:

[1]– المصدر السابق، ألف ليلة وليلة، ص49 .

أعدادنا زبد...أحزابنا زبد

تهويلنا زبد...ما فيه قطرة ما

ثم تحدث عن التفرقة التي تعتبر مركز الضعف والشّتات وهي حرام وقد نهى عنها الإسلام فقال:

لمن أبعثر عمري؟ للذين إذا

مرّوا بصفّ تداعى الصفّ وانقسما؟

المجتمعات العربية اندثرت منهم كل مكارم الأخلاق وأصبحوا أعاجم في الفكر والتّصرف، فلا وجود لصلة الأرحام وكثر العنف داخلهم والمسكين أصبح يُهان عندهم وزاد النّفاق في الوسط العربي، أيضا لقد ذكر محمد جربوعة بغداد وصنعا والحرم. وقد تحدث كذلك عن مخاوفه إلى ما ستؤول إليه حال الشعوب العربية قائلا:

وسوف يأكلنا المنفى ويحرقنا

وسوف نسكن بعد العزِّ الخِيما

وسوف ندفن تحت الطين..يا أسفي

لأننا ما حفظنا ويحنا القِمما

وسوف نأكل عشب الأرض نأكله

ويظهر الحزن منافي البصاق دما[1]

وهنا أصبحت العرب تُقادُ بعدما كانت تقُود مع الأسف.

إن الإنسان هو بعض الوطن، والوطن كله ؛ في حياته حياتك ولو متَّ، وفي موته موتك ولو حييتَ. ولا تحسبنّ حياتك في تلك الأيام القصيرة التي تقضيها في هذه الحياة الدنيا، تأكل وتشرب، وتلهو وتلعبُ ؛ إنّما حياتك أجلُّ من ذلك وأعظمُ هي ذكرى الماضي، وعظة الحاضرِ، وأمل المستقبلِ، هي كلّ هذا، وكل هذا هو الوطنُ. الوطن هو الأرض التي طوينا

[1] – المصدر السابق، ألف ليلة وليلة، ص 50.

فيها ثوب طفولتنا المرحة، ولا نزال نطوي فيها رداء شبابنا وشيخوختنا، والتي نشأنا فيها وأحببناها وفضلناها – بحكم الطبع واللغة والنشأة – على كل بلدٍ سواها، هذه هي فطرة الإنسان، وتلك هي سنة الله في خلقه.[1]

وفي هذا الديوان – ألف ليلة وليلة – نجد قصيدة تدور حول الالتزام الوطني فكما ذكرنا سابقا الالتزام الوطني يختلف عن القومي، وكما أن الشاعر ملتزم قومياً فهو ملتزم وطنيا وجاءت بعنوان " ما رواه الشّيخان عن شعب الجزائر" يصف الجزائر بأحسن وصف وفيها قال:

يا جاهلية كحلها دوما..ويا..

يا أحمدية قلبها أحيانا

بِيني قليلا، فالتّغزّل بالنسا

ثم تحدث عن وجوب الالتزام بالقضايا الوطنية إذا جدّ الجدّ، رغم أي ظروف يجب على الإنسان تحمّل مسؤوليته.

عيب إذا وقتُ القضايا حانا

والجدُّ حين يجدُّ يجمع أهله

رغم البعاد، ويُركب الفرسانا

ويقال من هجر الأحبّة دكّهم

ويقال أحسن في الهوى من بانا

قولان عند العاشقين، ومذهبي

تركُ الكلام..وتلكم فتوانا.

فلتحضري لي (الترمذّي)و(مسلما)

و(مجالس التّذكير)، والقرآنا[2]

[1]– المصدر السابق، أبي عباس محمد بن سعيد رسلان، متطلبات الولاء والانتماء، ص13.

[2] – المصدر السابق، ألف ليلة وليلة، ص 56.

ويقصد محمد جربوعة بالشّيخان العلّامة عبد الحميد بن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي، وراح يصور ويصفهم ويصف أعمالهم الطّاهرة قائلا:

يا من تقول بأن كحل عيونها
ممشى النّبي، وتعشق العدنانا
قولي لهم سمّوا لنا أشياخكم
يوم الفخار..فهاهما شيخانا
كانا لنا قمرين ما أحلاهما
بل نحن بالشّيخين ما أحلانا
كانا على وجه الثّرى عنوانَنا
وهُما هما تحت الثّرى ما كانا
وهُما هما للآن في قبريهما
ما بدّلا ما غيّرا ما خانا
مازال هذا في التّراب مردّدا
(شعب الجزائر مسلم)..ما لانا
وأخوه أيضا لا يزال كعهده
يبري السّهاما ويصنع الشّبانا
من مدّ كفا فوق رهبة مصحفٍ
حلفا، سيبقى يذكر الأيمانا
والبحر يبقى عمرَه متذكّرا.
طرق الرّجوع، ويعرف الشّطآنا
هكذا حتّى نهاية القصيدة.[1]

[1]– المصدر السابق، ألف ليلة وليلة، ص (57–58) .

ب – ديوان اللّوح:

في ديوان اللوح نجد الالتزام القومي واضح في قصيدة (حِسان بغداد وفتوى الحسن البصريّ) يقول الشاعر:

حِسان بغداد قد أرسلن لي ذهبا

بعض الضّفائر

والحناء والصّدفا

وفي الرسالة

((هذا الكحل نرسله

نرجوك نرجوك

رمش العين منتظر

رغم الغاوية

دون الكحل

ما طرفا

ردُّ الجواب

ففي بغداد آنسة

كانت تصلي

صلاة العصر واقفة

واسّاقط التمرُ من رشاش نخلتهم

والعبد لله بعد العصر ما وقفا

هل يسقط الفرض ؟[1]

أم تأتي بآخره

[1] –محمد جربوعة، ديوان اللّوح، البدر السّاطع للطّباعة والنشر، د/مكان النشر، ط/1، 2014، ص(55–56) .

بين الجلوس وبين الدّمع مرتكبا ؟

لأم يعذر الله من أنهى تحيّتهُ

وحرّك والوجه للجنبين وانصرفا ؟

شيخان مرّا على مرمى توجّعها

وقلّبا الأمر في الكفّين واختلفا

هذا يقول: ((تعيد العصر ناويةً

فرضَ القضاءِ))

ولكن ذاك ما اعترفا

وليس في البصرةِ(البصريُّ) يحسمها

أو امرؤ القيس يدعو المفتيِيْن ((قفا

بين الدّخول على شطآن دمعتها

نبكِ التّبسّم حول الجرح إذا نزفا))

بعد ما تحدث محمد جربوعة عن بغداد ووصفها ذهب ليقول:

لا البصرة اليوم

فيها شيخها (الحسن البصريُّ) متّكأ

في مسجد الحيّ

يروي بعدعنعنة

متن الحديث

وبعض الشّعر، والطُّرُقا[1]

فهذا الشّيخ كانت له هيبته في البصرة كان يأمر وينهى الولّاة كان فقيه جدّا، ويقال أنّه سبب ذلك يعود إلى أن أمّ المؤمنين أم سلمة قد أرضعته من حليبها الطّاهر، وكانت أمّه تخرجه إلى

[1] – المصدر السابق، اللّوح، ص(57– 58).

الصّحابة فيدعون له، وقد دعا له عمر بن الخطّاب رضي الله عنه فقال:" اللّهم فقهه في الدّين وحبّبه إلى الناس "[1]

قال أيضا في قصيدة حِسانُ بغداد:

لا يجرؤ الناس (...)

للبصريّ هيبته

ما بعد ذلك من قد قصّ قصّته

أو من تجرّأ، هزّ الكأس وارتشفا

واليوم لابدّ من شيخ لنسأله

عن الحبيبة قد ألقت بخاتمها

تَهدي المحبَّ

على آثار ما خطفا

تلويحُ بغدادَ ينأى في قوافلهمْ

والحبُّ بغداد والنّبضات بغددة..

ما بعد بغداد اسم يعتلي الصُّحُفا

ها قد رأيت بأن الأمر مختلفُ

نرجوك نرجوك أمر البصرة اختلفا

الحزن عشّش في قرميد مسجدها

كلُّ الرُّعاة رأوا قرميد مسجدها

والموت يولدُ لا أم توسِّدهُ

والبدرُ عسعس فوق النّخل منكسِفا

[1]- islamstory.com/ar/artical/21798/

بين امرئ القيس والخنساء مشكلة

هذا يجرجمُ كأس الخمِر مترعةً

وتلك تشرب كأس الدّمع منتصِفا

يا أيّها الشاعر النّخليُّ معذرة

نرجوك نرجوك...

هذا الكحل منتظرٌ

كفا تمزق عن بغداد برقعها

تسري تمسّح في العينينِ ما تركت

حربُ البسوسِ

وما جنكيز قد قصفا))

ماذا أجيب بنات الحيِّ إن سألت ؟

وهل يَجبُّ هوى بغدادَ ما سلفا ؟[1]

في الأسطر السّالفة يعبر محمد جربوعة عن النّكبات التي مرت بها العراق من حروب التتار والمغول وغيرها، فكما نعلم أن معظم العلوم القيّمة والثّمينة كانت في العراق ولم يبقى شيء منها.

نظم أيضا الشّاعر قصيدة بعنوان "عن قلب إبراهيم بن ادهم في فتنة دمشق "

هذي دمشقُ، ودمشوقُ، وجُلّقُ

هيلُ المقاهي، الماء يجري، الزنبقُ

قتّالة العشّاق، سيّدة الهوى

فتّاكة العينين حين تدنّقُ

حتى وإن لم يبق منها شارعٌ

[1]– المصدر السابق، اللّوح، ص (64 – 66).

تبقى دمشقُ أميرةً تتأنّقُ

حتى ولو بردى توقَّف، وانتهى

ستظلُّ ترسمُ نهرها يتدفّقُ

حتى وإن لم تبق منها زهرةٌ

تبقى بذكرى زهرها تستنشقُ

إذن وصف محمد جربوعة دمشق بأحسن وصف فهو ينتمي إليها وهي تنتمي إليه ويكمل الشاعر:

حتى وإن جاعت، تظلُّ كريمةً

وتجودُ من لا شيئِها، تتصدّق

وهنا يعبّر الشاعر عن الكرم والجود الذي يتميز به أهل الشام والعرب عموما

شيخي (ابن أدهمَ) قد وقعتَ بنارها

ولكلّ (إبراهيمَ) نار تحرقُ

شيخي (ابنَ أدهمَ)كيف ينجو من لهُ

قلبٌ رقيقٌ كالنّدى يترقرقُ ؟

من يا ترى يأتي دمشق ونهرها

ويزور مسجدها ولا يتدمشقُ ؟

فاسأل شيوخك هل نجا متعبّدٌ

منها وأنكر شهدها متذوق

لكنهم كتموا الهوى بضلوعهم

وتحمّلوا وتجمّعوا، وتفرّقوا

صاموا لكي يُشفوا، ولم

ينجوا، وكم نذروا بها، وتصدّقوا[1]

والحب أحلى حين يبقى غامضا

لا يقرب المعنى ولا يتطرّقُ

أرقى مُصابي العِشق كاتم سرهِ

وارقُّ صبٍّ فيه من لا ينطقُ

يا سيّد الزّهاد لست مجرّبا

وأراك...شيخا طيّبا، وتصدقُ

يخاطب محمد جربوعة الشيخ إبراهيم بن الأدهم عن حب الشام المتيم به وهو؛ ابن منصور بن يزيد بن جابر، القدوة الإمام العارف، سيّد الزّهاد، ابو إسحاق العجلي وقيل: التميمي الخراساني البلخي، نزيل الشام...[2]

هكذا حتى نهاية القصيدة.

1 /2 – الالتزام الديني في ديواني "ألف ليلة وليلة "و"اللّوح"

أ – ديوان ألف ليلة وليلة:

نجد في القصيدة السابقة " برقية اعتذار علنية إلى الزعماء العرب " في الأسطر التالية التزام ديني، حيث تحدث الشاعر عن رسول الله صلى حين رسموه استهزاء وشتموا الرسول عليه الصلاة والسلام والإسلام والمسلمين، طبعا هم لا يعرفون طيبة قلبه ورحمته الواسعة فاللّسان يعجز عن وصف الهادي شفيع الأمة.

يقول الشاعر:

سبوا الرسول، وقد قلنا سنشعلها

ونملأ الأرض من غضباتنا حمما

[1]– المصدر السابق، اللّوح ص (126-127).

[2]- islamweb.net/ar/library/

لكننا بعد أن ضجت مراكبنا

فهذه حادثة فضيعة أن يُرسم خير الأنام خير خلق الله استهزاءا، صوّر الشاعر هذه الحادثة وكشاعر ملتزم من واجبه الدفاع عن دينه ونبيه.

العقيدة تعدّ ضرورة من ضروريات الإنسان التي لا غنى عنها، كما أنه يميل إليها بحسب نظرته، وحريٌّ بنا كمسلمين وأصحاب عقيدة فريدة تتميز بالعقلانية والفهم خالية من الطلاسم والخرافات ؛ الاهتمام بالبناء العقدي لأبنائنا بداية من تعليقهم بالله وإرشادهم إلى الإيمان بالله ومراقبته في السر والعلن وغرس الربوبية والألوهية في أذهانهم.

فالتربية العقدية القائمة على معتقد هي حماية للأمة ؛ لأن أبناء الإسلام اليوم تحاك لهم المؤامرات من الأعداء ما لا يحصى ولا يعد لإفسادهم وإبعادهم عن الطريق الصواب الذي من خلاله تتحسن حياتهم إلى أفضل حال، "وهذه التربية الإيمانية.. هي التي يلحُّ عليها كثيرا كبار علماء التربية والأخلاق في بلاد الغرب لتحرّر المجتمع من الإلحاد والرذيلة والميوعة والجريمة، وإليكم طرف من أقوالهم[1]:(فإن هؤلاء الآباء الذين كانوا يسألون كيف ينمون عادات أولادهم الخُلقية ويشكلونها، في حين ينقصهم هم أنفسهم تلك التأثيرات الدينية التي كانت قد شكلت أخلاقهم من قبل، كانوا في الحقيقة يجابهون مشكلة لا حل لها، فلم يوجد بعد ذلك الدليل الكامل الذي يحل محل تلك القوة الهائلة التي يخلقها الإيمان بالخالق وبناموسه الخلقي الإلهي في قلوب الناس.[2]

نظم أيضا محمد جربوعة قصيدة تحكي عن أعداء الرسول صلى الله عليه وسلم موسومة بعنوان "باريس..عاصمة (الظلام) الحاقدة على (نور) محمدعليه أفضل الصلاة والسلام.

وضع الشاعر طباق في عنوان القصيدة وهو الظلام/النور، ظلام باريس ونور محمد الذي صلى الله عليه وسلم، فمحمد عليه الصلاة والسلام نور ساطع أما باريس فهي ظلام دامس وجاءت القصيدة كالتالي:

---

[1]– عبد الرحمن ضاحي، أبناء الملتزمين، الدار العالمية للنشر والتوزيع، مصر، ط/7،2013، ص49 .

[2] – المرجع نفسه ، ص50.

في الأرض أهل طيبون، وفي السما

ولقد سما نحو السما وهمى كما

يهمي النّدى مترقرقا، متبسّما

فارتجّ قلب الياسمين بنشوةٍ

وبكى من الفرح الشّديد وغمغما

فتكدّر الخفّاش من أنوارهِ

وشكا ليومٍ ما به...وتبرّما[1]

وصف الشاعر في هذه الأبيات سيد الكونين محمد صلى الله عليه وسلم ونوره الساطع برحمته الواسعة ودفء قلبه، يشفي القلوب المهمومة.

من يومها.. والكون منقسمٌ إلى

(أتباع سيدنا)و(شرذمة العمى)

وهنا يقصد الشاعر السنّة والشيعة ليكمل قائلا:

صبي وضوئي..لا يجوز لعاشق

عن(خير خلق) الله أن يتكلّما

إلا بإسباغ الوضوء، وطيبة

وإذا تعذر ذاك..قام تيمّما

كم شاعر قبلي نوى في قلبه

مدح النبي وحين أقبل أحجما

رفع اليدين،مطأطئاً كمقاتلٍ

في الرأس شبّك عشره، واستسلما

متهيّبا من نور طه سيدي

[1]– المصدر السابق، ألف ليلة وليلة، ص 75 .

جد الحسين... رسول من قد اسلما
تتلعثم الكلمات فوق شفاهه
وإذا أراد القول فيه استعجما
ما كل من جر النّعال لسيّدٍ
قد أسعفته له الخطى وتقدّما
ومن استطاع، فنعمة من ربّه
ولقد رمى عنه الإلهُ وما رمى
لا تخبريني عن (فرنسا)إنّما
خير العواصم ما إلى (طه) انتمى
(باريس) هذي لا تساوي رملةٌ
في نعله، متحلّلا أو محرِما
من ظنّ أن الله يخذلُ رُسْلهُ
لسواد عين المشركين...توهّما
باريس هذي...قرية ملعونة
عمياء تنفخ في السماء الأنجُما
هي لن تجاوز في المذلّة قدرها
أبدًا ولن ترقى لمجد سلّما
من شؤم قتل الناس في تاريخها
ما خيّرت إلا وتختار الدِّما.[1]

يتحدث محمد جربوعة عن شؤم باريس وظلامها فهي ليست إلا قرية لعينة، وسبب لعنتها الاستبداد والظلم والجور وغيرها من الجرائم التي قامت بها في تاريخها المشئوم والجزائر خير

[1] – المصدر السابق، ألف ليلة وليلة، ص(76– 78) .

دليل على ما فعلت من قهر وعبودية ووحشية.وقد نظم أيضا محمد جربوعة قصيدة في الالتزام الديني بعنوان "(حسين) نا و(هسين) هم "ردّا على أحد علماء الصفويين الذي قال عرش الله تعالى –أستغفر الله– لا يساوي نعلا في قدم الحسين رضي الله عنه، وهذه القصيدة غضبة لله، وانتصارا له سبحانه وتعالى قال محمد جربوعة:

نحبُّ الحسين الجميل

حفيد النبيّ

عليه السلام

نحبُّ الحسين

خجول العيون

وضيئ الجبين

حيّ التأمل والابتسام

نحب الحسين

كثير الصلاة

كثير الصّيام

نحبّ الحسين الذي

عندهُ عندنا في القلوب

وليس بشرك القبور(مقام)

نحبُّ الحسين الذي

أمّه زهرة الله نوّارة الضوء

بنت خديجة

زوجة من حين يُذكر يسبق فضل [1]

[1] – المصدر السابق، ألف ليلة وليلة، ص (111 – 112).

بلقب(الإمام)

نحبّ حسين المحبّة والمسلكِ

والياسمينِ

عبّر الشاعر في الأسطر السابقة عن حب المسلمين للحسين حفيد طه خير الأنام وهذا من تعاليم الدين الإسلامي عدم التخريب وخلق الفتن، فالحسين شخص محبوب لدى المسلمين على عكس ما يفتريه أصحاب الشيعة، هو شخص ذا خلق عالٍ ومتديّن، ثمّ قال:

و نكره جدّا

(هسين) (التمتّع) و (الانتقام)

(هسين) البراميل و (الكيماوي)[1]

لذُك النيام

بأرض الشام

ونحن من يومنا

أهل هذا النبيّ

وأهل الحسين

وأهل عليّ

وقحطانُ نحن

ونحن المراجع عند الخصام

فمن أنتمُ يا بقية (فارسَ) في الأرضِ[2]

يا عجما لا يُجيدون نطق(الحسينَ)

يقولون عنه (الهسينَ)

ولا يعرفون معاني الحروف وفقه الكلام

[1] – المصدر السابق، ألف ليلة وليلة، ص113 .

[2] - المصدر نفسه، ص 124.

ونحنُ بنو الشّمسِ

آباؤنا الأوس والخزرجُ الأولون

ومن هاجروا من شوارع مكة

من أنتُمُو يا بذور الحرام ؟

وبعد ذلك ذهب الشاعر إلى وصف ما يقومون به من أشياء وطقوس تُنافي الدّين ولا يقبلها حتى العقل قائلا:

ومن أنتُمُو غير طلي العباءات بالطين؟

من أنتُمُو غير شجِّ الرؤوس ؟

ومن أنتُمُو غير شدّ الأصابع

والضرب بالكفِّ فوق الصّدورْ ؟

ومن أنتُمُو غير أدعيةٍ

توجع القلب من عيّها

نصفها يُكسِرُ الدّين

والنّصف يُكسِرُ نحو أبي الأسد الدّؤليّ ؟

وحين تُقالُ أمام الطّيورِ تطيرْ

وتذبُلُ منها الزهورْ

تجفُّ العطور

ويصبحُ مثل صخور البناء الشعورْ

يمسّحُ (جيفاته) في القبورْ ؟

وبالمبخرات يدور

ويعقد خيطا بكل ضريحٍ

ويهدي لأضرحة الميتين النّذور؟

ومن أنتُمُو في العراقِ[1]

[1] – المصدر السابق، ألف ليلة وليلة، ص (115–117).

سوى شركاء الصليب

بذبح العراق الكبير ؟

ومن أنتُمُو في دمشقَ

سوى لحظة لاجتياح الخنازير

حقل الشعير ؟

ومن أنتُمُو في بلاد اليمن

سوى همج من رعاع الفتن

سيلعنكم سدّ مأرب..

يلعنكم حزن (صدّام)في العيد

يلعنكم أرزُ لبنان

تلعنكم في دمشق حجارة جامعها الأمويُّ

وما قد تركتم من الحزن بين بيوت(القصير)

ليوم النّشور[1]

وهنا تحدّث الشاعر عن حادثة أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، عندما طُعنت في شرفها، وعن اغتيال عمر رضي الله عنه في الصلاة:

ستلعنكم دمعة فوق رمش الحميراء

في قبرها

سوف يلعنكم نبض جرح (عمرْ)

فأين المفرُّ؟

ألستم من اغتال سيّدنا عمرا في الصلاة ؟

وجرّح في الشّرف النّبوي

[1] – المصدر السابق ،ألف ليلة وليلة ص 118 .

وقال بعائشة الطّهر

مالا يقال بأكبر سيّدة للفجور؟

وما لم يقل (مالك) في الخمور ؟

ألستم من احترف القتل باسم (حديث الغدير)

ألستم خليطا لمتعة هذا وهذي وهذيوهذا

فماذا سينتج تهجينُ (جروة صيدٍ)

بألف بعيرْ

سوى تيس حقدٍ حقير [1]

وحقّا كانت هذه القصيدة خير ردٍّ على كل من يتجاوز حدّه مع الله سبحانه وتعالى ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ودينه المقدّس الإسلام، ومحمد جربوعة كشاعر ملتزم من حقه أن يردّ على هذه الأشكال فهذا من واجبه ومن أهم مسؤولياته.

ب – ديوان اللّوح:

توجد بعض القصائد الإسلامية الدينية في ديوان اللوح مثلا لدينا قصيدة بعنوان "فرَسان بدريتان تتعبان قلب شقرة الطّيب "

جاءت هذه القصيدة في وصف معركة أو غزوة بدر للشاعر الكبير محمد جربوعة، أما العنوان فيه فرَسان بدريتان بمعنى آتيتان من السماء وشقرة هي مهرة الشاعر

قال الشاعر:

أغلى من العينين، إنّهما هما

فرسَان – لو تدرين – ما أحلاهما[2]

يخاطب الشاعر "شقرة" مهرته عن خيل الله التي أنزلها تحارب مع الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر.

[1] – المصدر السابق، ألف ليلة وليلة، ص 120.

[2]– المصدر السابق، ديوان اللّوح، ص 5 .

تتمايلان، كظبيتين، وكلّما

نظر الرسول، تهادتا، فتبسّما

وفي هذه المعركة وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم للصحابة نزول الملائكة من السماء تقاتل مع المسلمين، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال " يوم بدر هذا جبريل آخذ برأس فرسه، عليه أداة الحرب " فجبريل بنفسه نزل يشارك في الموقعة، وأتى وهو يمسك بلجام فرسه، والتراب يتصاعد من حول الفرس، ومن ورائه ألف من الملائكة ترفع سيوفها وعليها عدّة الحرب. ثم أكمل:

والخيل تؤنس حين تضبح في الوغى

وتهزّ قلبا أحمديّا مُسلما

مختارتان ليومِ بدرٍ، مثلما

كُتب القتال مع النّبيّ عليهما

محظوظتان..وفي (الصّحيح لمسلمٍ)

((الخير معقودٌ بناصيتيهما))[1]

لو لم تكونا مهرتين لكانتا

برقين ليليْن شقا الأنجما

حدّثت (شقرة)عنهما، فأغرورقتْ

عينا كحِلةٍ عينها ممّا همى

ولعلّ شقرة تمنّت حينها

لو أنها (...).. ولكنّه قدر السّما

[1] – المصدر السابق، اللّوح، ص6 .

تمنت مهرة الشاعر " شقرة " لو أنها كانت في موقع المعركة مع النبيّ عليه الصلاة والسلام مع خيل الله الجميلة، وكأنها تحسد هذه الخيل على ما هداها الله رغم قلبها الطّيب، طبعا ما أجمل هذا التّصوير من الشاعر.

ولعلّ شقرة رغم طيبة قلبها
ورُقيها الخيلي قد حسدتهُما
هي غيرة الأنثى، توسوسُ نفسها
بجميلة أخرى، فتشتعلُ الدِّما[1]

نظم أيضا الشاعر قصيدة عن أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعنوانها "محنة الحميراء حيّة وميّتة " قال محمد جربوعة:

جرحوا يديها مزّقوا ما مزّقوا
من عِرضها وتضاحكوا وتفرّقوا
عاشت تُمسّحُ دمعها بخمارها
وتشمّ أثواب النّبيّ وتشهقُ[2]
ما عندها ولدٌ يصبّرها ولا
بنتٌ ترقُ لحاها أو تشفقُ
أخذت من القُرَشي رقّة قلبه
من جاور البرّاق عمرا يبرقُ
من ألف عامٍ وهي في أعوادهم
مربوطة من دون ذنبٍ تُشنقُ
دمُها الصّحابيّ الجليل بضعفه
يبكي على ظمأ السّيوف ويُهرقُ

[1] – المصدر السابق، اللّوح، ص 7 .
[2]– المصدر نفسه، ص9 .

قدّيسة الفتيات....يُمضغُ لحمُها
ظلما وتُجلدُ بالكلام، وتحرقُ
عصفورة بين الرّياح...كسيرة
بين العواصف والصّقور تحلّق
تعبت وياما خبّأت في قلبها
والحزن يفتكُ بالقلوب ويرهقُ
أيّ النساء يكون في مقدورها
أن لاتئنَّ وقلبها يتشقّقُ؟
كثرت عليها في الحياة سهامهمْ
لا من يحسُّ بجرحها أو يرفقُ
والقلب يتعبُ لو يكون حديدة
إن عاش يُحمى في اللّهيب ويُطرقُ
فبأيّ ظهرٍ سوف تحملُ حزنها.[1]
إلى نهاية القصيدة.

ومن مظاهر عدم الجدية في الالتزام الديني الاكتفاء ببعض الجوانب في الدين دون الشمولية، فكثير من الملتزمين يدخل في الدين، ويلتزم ببعض الجزئيات التي أحبها في الدين، وقد يكون ذلك هوى، فليس الهوى في فعل المحرمات، بل وفي فعل الطاعات أيضا، فملاحظة الشمولية في الدين أمر ضروري، فإنني أريدك متكاملا في جانب العبادة صوام قوام ذكار لله تتلو القرآن فتصبح ذا شخصية متألهة متنسكة، وعلى الجانب العلمي فطالب العلم، يجب أن يكون طالب مجتهد حافظ للقرآن، ذو عقل وفكر نيّر واستيعاب شامل، وفي الجانب الدعوي فنشاط متقدم سرعة واستجابة، وعدم رضا بالواقع، وتفكير متواصل في الطرق الشرعية لتحويل وتغيير مجرى الحياة، ذو تأثير ملحوظ في المحيط الذي نعيش فيه.[2]

[1] – المصدر السابق، اللّوح، ص(10– 12).

[2] – محمد حسين يعقوب، الجدية في الالتزام، د/دار النشر، د/مكان النشر، د/ط، د/س، ص (17 – 18).

إذن نجد بأن محمد جربوعة شاعر ملتزم ودائما ما يوظف ألفاظ دينية كذلك يقتبس من القرآن قصص الأنبياء والرسل، ويدافع عن القضايا الدينية كثيرا.

1 / 3 – الالتزام الإنساني في ديواني " ألف ليلة وليلة " و" اللّوح "

أ – ألف ليلة وليلة:

في هذا الديوان م يتكلم الشاعر عن القضايا الإنسانية كثيرا، ولكن من خلال شعره نجد أنه يحمل مقصديه إنسانية في عمقه، والقضايا الاجتماعية هدفها الأول والأخير إنساني، وقد نظم محمد جربوعة قصيدة معنونة ب: " وصفة لاستعادة عصفور مهاجر " تحكي هذه القصيدة عن مجموعة من النصائح تقوم بها المرأة للحفاظ على أسرتها وزواجها من الضياع، وقد وضّح ذلك الشاعر في بضع كلمات قائلا: "تبردُ البيوت...فتهجرها طيورها تبحث عن دفء وفرح وغصن تقف عليه لتستردّ حناجرها...تبرد البيوت فيحدث الطلاق الحقيقي أو العاطفي ويتشرّد الأولاد جزيرتين متباعدتين بينهما جليد وأشواك ويبقى (الصلح خير)...الصلح العاطفي..وهنا تدخل الإنسانية فالعاطفة إحساس إنساني في النهاية، خاصة عندما يكون الأولاد في النّصف فمن باب الإنسانية يحسّ الشاعر بأنّه من المؤسف أن يتشرّد الأولاد في حياتهم نتيجة أخطاء الآباء والأمهات. "

قال الشاعر:

ليس شرطا كي تكوني(شهرزادا)

أن تحبّي في الحليّ الذّهبا

سيحب الشّعر واللّحن، خصوصا

إن يكن مثلي شفيفا نرجسيا[1]

[1]– المصدر السابق، ألف ليلة وليلة، ص 125 .

وهكذا حتى نهاية القصيدة، ثم نظم قصيدة أخرى " فشل وصفة لاستعادة عصفور مهاجر " وهنا حدثت مع الشاعر حادثة، حيث علقت امرأة من متابعين الشاعر تخبره أنها مهما فعلت لا يبالي رجع ونظم هذه القصيدة قائلا:

قذف الزهور برجله مثل الكره

وأسال كأس الماء فوق المبخرة

مطّ الشفاه وقال يضحك ساخرا:

((وردٌ وشعرٌ؟ يا لهذي المسخرة

بطبيعة الحال يوجد رجال يهملون أسرتهم وأولادهم ربما نتيجة تعاطي مخذرات أو شيء من هذا القبيل أكمل الشاعر:

هاتي العشاء...أنا سأخرج بعده

سأعود قبل الفجر يا متغيرة))

قالت له ودموعها في خدّها

((أخطأت فعلا...لاتبالِ...المعذرة

لازال حسن الظنِّ فيك يذلّني[1]

ومن خلال هذا الشعر نجد مقصد معين إنساني وهو أنَّ هذه الزوجة أو المرأة ؛ بطبيعة الحال يتحدث محمد جربوعة عموما في هذه القضية الاجتماعية الإنسانية الموجودة حول العالم، حيث توجد العديد من النساء تعاني الذلّ والظلم والقهر، وهذا ليس بالأمر الإنساني لأنّ المرأة هي جزء فعال في المجتمع ولا يجوز إذلالها، فالإسلام كرّمها وأعطاها مكانة مرموقة، و الكريم من أكرمها واللّئيم من أهانها، كذلك الله سبحانه وتعالى جعل المودّة والرّحمة بين الزوجين ولا يجوز التصرف بسلوك غير إنساني من كلا الطّرفين، لأنّ الاستبداد والجور سلوك مُنافي للإنسانية

[1]- ألف ليلة وليلة، المصدر السابق، ص (130-131) .

نجد أيضا موقف إنساني للشاعر من خلال قصيدة كنا قد تطرقنا إليها آنفًا ويكمن في قوله:

هي لن تجاوز في المذلّة قدرها

أبدا ولن ترقى لمجد سلّما

من شؤم قتل الناس في تاريخها

ما خُيّرت إلا وتختار الدِّما

يكمن الموقف الإنساني في ما فعلت فرنسا في تاريخها من مجازر وحشية وهمجية للناس من تقتيل وتشريد وتعذيب وترميل، لقد قامت بأبشع الجرائم الإنسانية على وجه الأرض خاصّة في الجزائر، فعلت ما لا يتقبله القلب الإنساني النّقي الطاهر إنها رمز للدمار والخراب وهدم للإنسانية.ويكمن موقف الشاعر الإنساني في أن هذه القرية اللعينة لن تنال الراحة والاستقرار نتيجة تصرفاتها الغير إنسانية.

ب – اللّوح:

نظم الشاعر محمد جربوعة قصيدة تحمل في طياتها موقف إنساني سنحاول استخراجه وجاءت هذه القصيدة بعنوان " إيفا "، حيث قال:

لقد بدأت من الأسطر المهمّة والتي تعبّر عن موقف الشاعر الإنساني، فالإنسان حر ويجب أن يمارس حرّياته أينما كان، طبعا باحترام ففي البداية حكى عن قصة هذه الفتاة المدعوة " إيفا " ثم أكمل:

كان في القرية وجهٌ

ترسم النّار عليه الظلَّ في ذاك النّهارْ

كانت الجدّة تغلي ضغث شيح

بينما إيفا تحطّ الرِّجْل ليلا في المطارْ

طلب الشّرطي منها:[1]

" أكشفي الوجه فهذا البرقع الأسود ممنوع لدينا

نحن في أرض فرنسا

بلدِ الجنّ وأصناف عطور الأرضِ

والنورِ..

وقوس الانتصارْ "..

واستعادت من كلام الجدّة الخضراء شيئا:

" نحن يا إيفا هنا..[1]

كالريحِ في كلّ اتجاهٍ

وبلا أيّ قيودٍ

وبلا أيّ إطارٍ"..

وأحسّت حول جنبيها الإطارْ

صرخت:

" إنّ فرنسا صارتْ ريح رئاتي

حاصرت عشب قلبي بفصول من جفافٍ

أيّها الشّرطيُّ

عذرا..

ففرنساك تسير الآن في درب الدّمارْ

خانق هذا الحصارْ

وسواقي الشرقِ..

والطيبةَ

[1] – المصدر السابق، اللوح، ص (161 – 162).

[1]– المصدر السابق، اللّوح، ص 162 .

والبدر إذا يسري..

بليل الشفع والوترِ

وآفاق مراعي الخصب والجدبِ بهاتيك الديارْ

هي عمري وحياتي..

وشروحات انطلاقي

بعد كل الاختصارْ

ليست الجنةُ يا هذا شعارْ..

ليست الجنةُ يا هذا شعارْ "

كانت الجدة تُغلي...

سقطت دمعة عينها

برفق مسحتها

فوق نقشات السوارْ

ربما أدمع عينها دخان النارِ

أو ذكرى لإيفا

سافرت في العصرِ من دونِ نباتٍ

في جيوب المعطف الأسودِ

أو صوت هزازْ.[1]

تحدّث الشاعر عن محنة الحجاب في فرنسا وكيف يُعامل المسلمين هناك، إنهم يتعرضون للشتم والدُّون والظلم، لدرجة أن المُسلم يُطلق عليه باسم الإرهابي وهذا شيء مُخزي للغاية وهو تصرّف غير لائق وغير إنساني، لأن الإنسان حر يمارس ديانته بكل حرية تامة بشرط فقط ،

[1]- المصدر السابق، اللّوح، ص(165-163) .

أن لا يتم المساس بالديانات الأخرى الذي يعيش فيها فالدين بالنسبة للإنسان هو أمر مهم للغاية،

حتى الإسلام أمر بعد المساس أو الإهانة للديانات الأخرى إلا إذا بدا منهم سوء قال تعالى: " لكم دينكم ولي ديني " [1]

2 – أشكال الالتزام في ديواني " قدر حبه " و" ثم سكت !!"

2 / 1 – الالتزام القومي في ديواني " قدر حبه " و" ثم سكت"

أ – قدر حبه:

القومية العربية أو العروبة في مفهومها المعاصر هي الإيمان بأن الشعب العربي شعب واحد تجمعه اللغة والثقافة والتاريخ والجغرافيا والمصالح وبأن دولة عربية واحدة ستقوم لتجمع العرب ضمن حدودها من المحيط إلى الخليج .إيمان العرب بأنهم أمة قديم وربما من الصعب معرفة بداياته، فكان يظهر افتخار العرب بجنسهم في الشعر العربي، وفي عهد الإسلام تجسدت القومية بشعور العرب بأنهم أمة متميزة ضمن الإسلام، وزاد هذا الشعور خلال العهد الأموي في العصر الحديث.[2]

غالبا ما يتحدث الشاعر محمد جربوعة عن قوميته العربية وكثيرا ما يذكر الأوطان العربية، تحدث الشاعر عن دمشق في هذا الدّيوان أيضا على غرار الديوانين السابقين قال محمد جربوعة في قصيدة " الدّراويش العاشقون ":

ومن العواصم في الحنان مدينةٌ

تُدعى دمشقَ، حديقةٌ للحورِ

هي قرية مذلولةٌ، وكسيرةٌ

[1]– سورة الكافرون، الآية،6 .

[2]/wikipedia.org/wiki

ما أضيق الدّنيا بعين كسيرِ

كما ذكرنا آنفا يتحدث الشاعر عن حال دمشق الذي هي عليه الآن ووصف كيف هي مكسورة.

وتحبّه، ولها مآذنها التي

دأبت على التغريد كالشحرورِ

إن أذّنوا..صلت عليه وسلمتْ

وتنفّست بالحمد والتكبيرِ

قد غيّرتها في الهوى أيامُها

وقُرى الوفاءِ تموت بالتغييرِ

صارت تخبّئ وجهها بخمارها

وتديرُ ذاك الوجهَ في التّصويرِ[1]

قالت مبانيها لبعض دروبها:

لو كان حيّا مرّ فوق جسوري

وهناك أسألهُ: أيرضى هكذا

بشراب هذا المرّ للمجبورِ؟

صوّر الشاعر مباني دمشق وكأنها تخاطب الرسول عليه الصلاة والسّلام، هل يرضى بالصورة الغربية التي هي عليه الآن، ليست دمشق فقط بل معظم الدّول العربية أصبحت كسيرة.

سيقول (لا أرضى)...ويبكي حرقةً

لمساجدي، وحدائقي، وقصوري

سأقول: (تَسلمْ)، ما أحنّكَ، ضُمّني

[1]– محمد جربوعة، ديوان قدرٌ حبُه، البدر الساطع للطباعة والنشر، د/ مكان النشر،ط/1، 2014، ص 17 .

مالي سواكَ لنكستي وكسوري [2]

هنا صوّر الشاعر كيف أن نكسة دمشق لا يشفيها غير الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم برحمة قلبه الواسع والدافئ.

مدنُ البنفسج، حين تعشق تشتكي

لحبيبها، في الثابت المشهورِ

وتريه دمعاتِ الحمامات التي

تبكي على القرميد، فوق الدورِ [1]

ونجد أيضا التزام قومي للشاعر في ديوان " قدر حبّه " في قصيدة " دمعة أحمدية على الإسراء الممنوع " في قوله:

وعواصم الأعراب تذبح نفسها

والدّم يجري في الشوارع أنهرا

عبّر الشاعر عن العواصم العربية كيف تذبح نفسها، مِمَّا يعني الحروب الأهلية وكيف أصبح العرب والمسلمين يفتكون ببعضهم البعض سواء بالسلاح أو بالكلام لدرجة أنّ الحكام يبيعون الدول العربية للعدو كما حدث مؤخرا – التطبيع مع إسرائيل – من طرف الحكام العرب هذه الدولة التي تقتل إخواننا في غزة وتشرد الأطفال وترمل النساء

قد خُيرت بين الثّياب جميعها

فاختارتِ الثوبَ الأثيم الأحمرا [2]

قولوا له كي لا يدقّ بكفّهِ

في القدس بابا.. أو يحرك منبرا

فالقدس صارتْ (...)،(كيف نشرحها له) ؟

---

[2]– المصدر نفسه، قدر حبه، ص18.

[1]– المصدر السابق، قدر حبه، ص19 .

[2]– المصدر نفسه، قدر حبه، ص33 .

والمسجد الأقصى يباع ويشترى

وسلالم المعراج تغمض عينها

من هول ما كانت ترى كي لا ترى

قولوا له الأقصى المحاصرُ مغلقٌ

والوصلُ يا حلو السجود تعذّرا

عندما قال الشاعر الوصل تعذّر يقصد الوصال العربي أصبح صعبا جدّا مع الأسف.

وكمن يزورُ مدينة مهجورةً

ويمرّ في أحيائها متحسّرا

سيمرّ ياسينُ النبيُّ بكفّهِ

فوق القبابِ مواسيا ومصبّرا

سيمدّ يمنى في تشوّقِ غائبٍ

عادت به أيامه فتذكّرا

يقوم في المحرابِ يذكرُ ليلةً

صلى بها بالأنبياء وكبّرا

ولسوف يسمعُ في النّوافذِ آهها

ويقول: ((قُفلُ الباب كيف تغيّرا ؟))[1]

ب – ثمّ سكت !!:

كما ذكرنا آنفا أن الشاعر محمد جربوعة شاعر ملتزم بقضايا الأمة العربية وقد وردت له قصيدة في ديوان ثم سكت حول هذه القضية تحت عنوان " إلى محبطةٍ تسيء الظن بدولةِ الورد " جاء فيها:

ويسألني ضابطٌ (جاهليٌّ)

((أأنت الذي تدّعي...؟

قلتُ:..أن الشعوب التي لا تشمّ الورودَ

[1]– المصدر السابق، قدر حبه، ص(35–34) .

سيهلكها (الرّبوُ) و (الضّيقُ) و(الفنتولينْ)
وسوف تعوّض شمّ الزهورِ
بشمّ دخان السّجائر و(الهيروينْ)[2]

فهذه الظاهرة انتشرت بكثرة وأصبحت معظم الشعوب العربية بصورة غربية لدرجة أنك عندما تنزل بدولة عربية لا تفرّق بينها وبين دول الغرب.

أنا من يعلّق قسم المباحثِ صورتهُ
لاشتباهٍ بنشر (زنابق ثورية)
نصف آلية في صفوف اليمينْ
أنا من يحرّضُ قرائهُ الطّيبينَ
على الشعر والعطر والياسمينْ
ليقتل قراءهُ الطّيبينْ
لماذا تلومينني ؟
أنا لستُ من زوّر الانتخابَ
بعالَمنا العربيّ[1]

وهذه الظاهرة – تزوير الانتخابات – حدّث ولا حرج هذا مؤسف جدّا، يتم تزوير الانتخابات ثم يتمّ تعيين الحكام من الخارج.

ولا مَن يعيّنُ ولاتنا
بالأوامر في (التيلفونْ)
لماذا تلومينني ؟
أأنا من يدمّر معنويات الشّبابِ
لينقذهمْ بالحشيشِ

[2]– محمد جربوعة، ثم سكت، البدر الساطع للطباعة والنشر، د/مكان النشر، ط/1 ،2014، ص22 .
[1]– المصدر السابق، ثم سكت !!، ص23 .

وطبعا أكثر فئة مضرورة هي فئة الشباب هذه الفئة محطمة بشكل نهائي تكثر فيها البطالة رغم الشهادات، يكثر فيها الإدمان، تكثر فيها الهجرة الغير شرعية...وغيرها الكثير من الآفات الاجتماعية.

لتوسيع دائرة المؤمنينْ ؟

لماذا تلومينني؟

هل أنا سيّد الانقلاب الأخير بمصرَ

وقاتل أحلام إخوانه المصريينْ ؟

لماذا تلومينني ؟

هل أنا من رميتُ القنابلَ في الفجرِ

في مصرَ

كي أقتل الساجدينْ ؟

هنا تعرض الشاعر إلى الحادثة التي وقعت في مصر الشقيقة، الانقلاب أو الربيع العربي، وتفجير القنابل وغيرها

لماذا تلوم مخضبةُ الكفِّ

مخضبة الكفِّ ترمز إلى المرأة العربية التي تخضب كفّها بالحناء.

في غضبٍ

شاعرا صيدليا

يجول ليشرحَ بين شعوب(الصداعِ)

أهميةَ (الأسبرينْ)؟.[1]

نظم الشاعر أيضا قصيدة في الالتزام القومي وكانت تحت عنوان "غضب شاعر من الشرق الأعمى "

[1]– المصدر السابق، ثم سكت، ص (24–25).

قبل الولوج إلى القصيدة سوف نتحدث عن أصل كلمة العرب وينسب العرب إلى يعرب بن قحطان أبو اليمن كلهم، وهم العرب العاربة الخالصة، ويقابلهم العرب المستعربة الذين يسكنوا بلاد العرب – الجزيرة العربية – وتكلموا العربية والعرب هم الذين استوطنوا القرى والمدن وقيل سمي العرب عربا، لأنهم سكنوا وادي العربات بفتح العين والراء، وأقامت قريش بعربة فتنحت بها وانتشر سائر العرب في جزيرتها فنسبوا كلهم إلى عربة.

تبا لكمْ

يا آكلي وسخ القمامةِ

لابسي بَرد الملاجئ

في بلاد النفط والغاز المسالْ

تبا لكمْ

ما عندكمْ شرفٌ

وكل نسائنا

أمسين في سوق النخاسةِ

لاجئاتٍ[1]

عند أوباش الملاهي

في الجنوب وفي الشمالْ

يا لابسي فضلات أهل الغربِ

يا سرق التوسل باليد السفلى

لسائحة تذلّ بقطرة (البقشيش)..

تبا لكمْ

وبناتنا

[1] – المصدر السابق ،ثم سكت!!،ص33 .

طلبا لسقف في العراءِ

وخبزةٍ

بعن الضفائر

والخلاخلَ..

والذي (يا للفضيحة) لا يقالْ

يا عالم القطط المشرّدة البئيسةِ

في الخرائبِ

والمقابرِ

والمحاجرِ

والجبالْ

تبا لكمْ

من لابسي البدلاتِ

والربطاتِ

للبؤساء في الخِرق القديمةِ

للعمائم

للعقالْ

يا مشرق النكت السخيفةِ[1]

فدائما وابدأ كما عودنا محمد جربوعة وهذه غضبة منه على أهل المشرق العربي من حكام وشعوب.

واحتقار اللهِ

والمقهى المليء بنافخي الدّخانِ

[1]– المصدر السابق، ثم سكت !!، ص (35 – 36).

والمتكلمينَ بكل فنّ أو مجالْ

تبا لكمْ

يا عاهةً تحتلّ أرض الأنبياءِ

بيوتها ما قد تبقّى

من بيوت الصالحينَ

ودينها الفعليُّ نحو اللهِ

نصبٌ واحتيالْ

تبا لهاتيك الشواربِ

وهي تُكرم داخليا

خارجيا

بالبصاق وبالنعالْ

ما من مطار أجنبيٍّ

يبتغي منكم سوى

(مال السياحة

الطبابةِ

والدراسةِ)

بالحرام وبالحلالْ

ثم قال الشاعر:

يا شرقنا، المخمور

في قبو لحانةِ مومسٍ

يبكي على (عبد الحليم)

و(قدسهُ)تبكيهِ

تحت الاحتلالْ[1]

هنا أشار الشاعر إلى الصمت العربي عن حال القدس الشريف، كيف أن العرب في غفلة ولهوٍ ومجون وإخواننا في القدس تحت الحصار والتقتيل والتشريد وأبشع الجرائم.

قال أيضا:

تبا لإنسانٍ

يفكّرُ لو يكونُ

ببيتِ أرملة بلندنَ

(جروَ كانيشٍ)

لينعمَ بالحنانِ وبالنقانقِ [1]

والدلالْ

يا شرقنا العربيّ

يا (مكتوبنا)

أضاف أيضا:

الله أرسل أنبياءه في الشرقِ

لكنَّ الحقيقةَ

أنّ هذا الشرقَ أعمى

لا يرى غير الضلالْ

وهكذا حتى نهاية القصيدة.

نظم الشاعر أيضا قصيدة تحت عنوان " كلمات إلى حاكم عراقيّ ليس من(نحن أهلها) قائلا:

الزم حدودكَ..إنها بغدادُ

[1] – المصدر السابق، ثم سكت !!، ص (36–40) .

[1]– المصدر السابق، ثم سكت !!، ص41 .

الشّعرُ، والتاريخ، والأمجادُ
والحبّ، والقلقُ المسائيّ الذي
ما جرّبتهُ على الجسورِ بلادُ
ورموشُ دجلةَ حينَ تغمزُ عينُها
فتذوب من غمزاتها الأكبادُ
والحزنُ في المقامات التي
تشوي الضلوعَ بحزنها..وتكادُ[1]
وملاءة سوداء تستر أعينها
لو كشّفت في أهل عشقٍ بادوا
بغدادُ أجمل ما تناثرَ من قرى
فوق السفوحِ، وما رأى الزُهّادُ
بغداد أقدم تربةٍ نبويةٍ
صلى على ذراتها العبّادُ
بغداد أشرس ظبية عربيةٍ
مما أحبَّ بعمره صيّادُ

هنا يتغزل الشاعر بحب بغداد ومجدها، إلى نهاية الأسطر في القصيدة.

ثم نظم شاعر العرب محمد جربوعة قصيدة أخرى بعنوان " القلب العربي " وفيها:

أليسَ القلبُ مِن لحمِ؟
أجيبي يا ابنة العمِّ
ويلحسُ جرحهُ صبرا
كمثل القطِّ إذ يَدمي

[1]– المصدر السابق، ثم سكت !!، ص105 .

أليسَ القلبُ (صدّيقا)

بجبّ الضيقِ والغمّ ؟

وما في القُومِ من ساقٍ

يَهزّ الدلوَ أو يرمي

صوّر الشاعر الشجون العربية وكأنها في بئر عميق ولا يوجد في العرب من ينفس عن هذا الهم لأن القلب العربي قلب عانى الويلات.

يشيخ القلبُ في عامٍ

من الأحزانِ والهمّ

ويغزو الشيبُ لحيتهُ[1]

حتى النهاية في هذه القصيدة.

2 / 2 – الالتزام الديني في ديواني " قدر حبه" و" ثم سكت!!"

أ – قدر حبه:

تحدث محمد جربوعة في قصيدة " برقية إلى كعب بن زهير(رضي الله عنه)" عن خير الأنام محمد عليه الصلاة والسلام قائلا:

بانت سُعادُك...والتقيت بأحمدِ

ماذا خسرْتَ بهجْرِها يا سيّدي ؟

قد كان قلبُكَ ماسةً في عقدها

يبقى يسبّحُ صدرَها إن ترقُّدِ

ويظلّ ينفخ آهَهُ في جيدها

[1]– المصدر السابق، قدر حبه، ص (155 – 156).

لم يحترق فيها ولم يتجمّدِ

متعلّقا بالوهمِ يخدع نفسهُ

بين المنافي كالشريد المبعدِ

والآن قلبكَ يا أخي متلألئٌ

فالقلب حينما يملئ بحب الهادي خير الأنام يشعّ بنور الرحمة والمحبّة وحبّ الخير.

بمحمّدٍ، متعلّقٌ بالمسجدِ[1]

من يستطيع أن ينكر قدرة الإسلام على تلبية مطالب الإنسان أيا كان موقعه في الزمان أو المكان، وأية كانت درجة رقيه وتحضره ؟ إنه إذ يخاطب ويخطط لعناصر الديمومة والاستمرار في كيان الإنسان، ونسيج العلاقات الاجتماعية، تلك العناصر التي تعلو على المتغيرات، بل تعمل من خلالها، بحضورها الأبدي، وتتجاوز عوامل التعرية والتآكل التي تأتي بالغناء عن الكثير من القيم والمخابرات الموقوتة، إنه إذ يفعل هذا فكأنه يتجاوز معضلة " المرحلية "التي أسرت ولا تزال الكثير من المذاهب والأديان ورفعتها إلى الزوايا الضيّقة [2]، فما لبثت حركة التاريخ أن تجاوزتها، أرغمتها على الانسحاب لأنها لم تكن تملك المرونة والانفتاح اللذين يمكناها من مواصلة التعامل مع الإنسان.

وفي قصيدة أخرى نجد الشاعر يلتزم التزاما دينيا عنوانها " درسٌ في تدريب العينين على حبِّ ابن آمنةَ (صلى الله عليه وسلم) قائلا:

إن قلت أحمد فابك من شوق النبي

لا خير في عينك إن لم تسكب

عاتبها..هيّجها..اِعْصِرهما

واسكُبهُما كأسَيْ دموع واشربِ

إن لم تجرّبْ نثرَ دمعكَ عاشقا

[1] – المصدر السابق، قدر حبه، ص6-5.

[2] – عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ط/1، 1992، ص32.

كالياسمينِ لبدرمكةَ..جرّبِ
إن كانتا قد جفّتا..فاتركهما

واقرأ كتابا في الهوى وتدرّبِ[1]
علِّمهما طُرقَ البكاءِ، بسيطَها
كصبيّتينِ صغيرتين بلا أبِ
واسألهما هل تعشقان محمدا ؟
إن لم تجيبا جيّدا، لا تغضبِ
اصبرْ قليلا..ثم قصّ عليهما
عن قلبه الحلو الكبير الطّيبِ

كيف صوّر الشاعر تصويرا رائعا تدريب العينين على حبِّ الحبيب الأمين محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، يقول أن المرء إن لم تدمع عيناه للهادي لا خير فيهما، يقول أيضا أن لا ييأس من لا تدمع عينه للحبيب يحاول فقط جاهدا، أو يحكي لهما عن قلبه الطاهر الرحيم الطّيب...وهما سيستجيبان حتما.

فستقطرانِ كغيم صيف ساخنٍ
ما أروع الإذعان بعد تصلّبِ
(الله أكبرُ).. (روعةٌ ما بَعْدها..)
سجّلْ لها تاريخها..ولتكتبِ:
((اليوم عيني بعد جدبٍ ازهرتْ
وحنينُ قلبي للرسول اشتدّ بي))
عيناكَ هزّهما الحبيبُ فرقّتا

[1]– المصدر السابق، قدر حبه، ص 45 .

واختارتا في الدّمع أحلى مذهبِ

قبّلْهما إن كنتَ تقدر..بُسهُما

لو فوق مرآةٍ..بكل تأدُبِ

واشكرهما إذ كانتا في المستوى

واهتزّتا شوقا لساكِنِ يثربِ

نظم أيضا محمد جربوعة قصيدة رائعة الرسول عليه الصلاة والسلام، موسومة بعنوان "عودة " قال فيها:

لو أنّ (أحمدَ) عادَ مِن تحت الثرى

حلو المحيّا، باسِما، متعطّرا

وأتى يزورُ المسلمينَ بشوقهِ

ياعارَنا..ماذا نقول إذا درى ؟

لو كان مسؤولا يزورُ مدينةً

لرشوهُ حتى صارَ(ينظرُ، لا يرى)

مَن سوف يرشي مَن أطال قيامهُ

حتى تحطّمَ متعَبا متفطّرا؟

ماذا سنفعلُ؟ كيف نشرحُ عذرنا

وبأي وجه سوف نظهر يا ترى ؟[1]

يتساءل الشاعر محمد جربوعة لو كان النّبي عليه الصلاة والسلام بيننا لو عاد، سنخجل من أنفسنا على ما نحن عليه لن نستطيع حتى النظر في عينيه الجميلتين سيتألم الحبيب كثيرا لحال أّمته التي كانت سيدة العالم كلّه.

هناك قصيدة أخرى من روائع القصائد للشاعر وعنوانها " قدرٌ حبهُ ولا مفرّ للقلوب" قائلا فيها:

[1] – المصدر السابق، قدر حبه، ص (47 – 51).

طبشورةٌ صغيرةٌ

ينفخها غلامْ..

يكتب في سبورةٍ:

" الله والرسول والإسلام "

يحبه الغلامْ

وتهمس الشفاه في حرارةٍ

تحرقها الدّموع في تشهّد السلامْ[1]

تحبه الصفوف في صلاتها

يحبه المؤتم في ماليزيا

وفي جوار البيت في مكّتهِ

يحبّه الإمامْ

تحبه صبيةٌ

تنضّد العقيق في إفريقيا..

يحبه مزارعٌ يحفر في نخلته (محمدٌ)

في شاطئ الفرات في ابتسامْ

يصف الشاعر حبّ القلوب إلى نبيّ الله محمد أنحاء العالم، فالقلوب المؤمنة بالنّبي قلوب مطمئنّة سعيدة لا مرض فيها.

تحبه فلاحة ملامح "الصعيد" في سحنتها

تَذْكره وهي تذرّ قمحها

لتطعم الحمام

يحبه مولّهٌ

[1] – المصدر السابق، قدر حبه، ص177 .

على جبال الألب والأنديز..

في زقروسَ

في جليد القطبِ، في تجمّد العظامْ

يذكره مستقبِلا[1]

إلى نهاية القصيدة

أيضا تحدث الشاعر محمد جربوعة عن الحبيب محمد في قصيدة " بكائية الحبّ الرسوليّ " في هذه الأسطر الجميلة:

سأكتب عن رسول اللهِ

يا ليلى

هنا يطلب الشاعر من ليلى أن تتركه لحظة حضور الهويام بالحبيب، فلحظة مدح الحبيب الهادي يجب ترك كلّ شيء، وجعل القلب والعقل والروح والجوارح مشغولة بمحمد فقط.

وعن مصباحِ

هذا الكونِ[2]

أسأل ربّكِ المنّانَ

أن تنقادَ لي الألفاظُ

والأبياتُ والجُملُ

سأكتبُ للبنات الشُّقرِ

في (فيينا)

وللزنجيّ في (مالي)

وللهنقار في (المَجرِ)

وأكتبُ للهنودِ الحمرِ

[1] – المصدر السابق، قدر حبه، ص 179 .

[2] – المصدر نفسه، ص135 .

للجولوازِ

للغجرِ

سأكتبُ عن (جميل القلبِ)

عنْ أحلى (هدايا الله)

للبشرِ

أخاطبُ

سيّدات القصرِ

في(مدريدَ)

ما في القصرِ

مِن خدمِ

أخاطبُ سيّدَ (الإلزيهِ)

أختَ أمير (موناكو)

صفوفَ الجندِ في (جوبا)

مريضا في(سراييفو)[1]

أراد الشاعر في هذه القصيدة إخبار العالم عن سيّد الكون محمد أعظم رجل عرفته الأرض، حتى أنهى هذه القصيدة الجميلة الرّائعة، وفي هذا الديوان معظم القصائد التي به، هي قصائد دينية وذلك واضح من خلال العنوان فقدر حبه للرسول عليه الصلاة والسلام وما أجمل هذا القدر الذي لا يقدّر بثمن. لقد كان الإسلام، وسيظل هو الأقدر من بين سائر المذاهب والممارسات، على تلبية حاجيات الإنسان وتطمين منازعه، وإننا بمجرد أن نتفحص سيل المنتمين إلى هذا الدين في القرن العشرين، وهم على ما هم عليه من تقدم مشهود في السلم الحضاري، جنبا إلى جنب مع حشود المنتمين إليه في أماكن وأزمان شتّى، وهم على ما هم

[1] – المصدر السابق، قدر حبه، ص(137–135).

عليه من تخلف حضاري،يتبين لنا كم أن الإسلام قدير على تلبية مطالب الإنسان، دون أن يشكل انضواء الإنسان إليه أي ارتطام على الأخلاق بين حالته التاريخية أو الحضارية وبين الصيغ و الخرائط التي يلزمه الإسلام باعتمادها والاسترشاد بها عبر اجتيازه رحلة الحياة الدّنيا.[1]

ب – ثمّ سكت !!:

في هذا الديوان لم يتحدث كثيرا الشاعر محمد جربوعة عن الدين ولكن سنحاول أن نذكر ما جاء فيه من التزام ديني فنجد في قصيدة " غضب شاعر من الشرق الأعمى "

قوله

وكل نسائنا

أمسينَ في سوق النخاسةِ

لاجئاتٍ

عند أوباش الملاهي[2]

وهذا ما حرمه الدين الإسلامي فالملاهي ليست من تعاليم الإسلام بل هي من صفات الغرب.

قال أيضا في نفس القصيدة:

يا عاهةً تحتلّ أرض الأنبياءِ

بيوتها ما تبقّى

من بيوت الصالحينَ

ودينها الفعلي نحو الله

نصبٌ واحتيالْ

[1]– المصدر السابق، عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، ص 32.

[2] – المصدر السابق ، ثم سكت!! ، ص(33 – 34).

يتأسف الشاعر أن أرض الأنبياء الطاهرة الشريفة يحتلها أناس محتالين يقتلهم الجشع والطمع، كذلك تحدث عن الدين الذي أصبح يستعمل للنصب والمصلحة دون الاهتمام بالحلال أو الحرام.

ثم قال أيضا في نفس القصيدة:

يا شرقنا المخمور

في قبو لحانة مومسٍ

يبكي (على عبد الحليم)[1]

نجد في هذه الأسطر أن الشاعر يتحدث عن الخمر الذي انتشر وبكثرة أواسط العرب، فالدول العربية الإسلامية أصبحت وكأنها دول غربية يباع ويشترى فيها الخمر وكأنه حلال، فقد وصف الشاعر المشرق العربي بالمخمور نتيجة تفشي الخمور بأنواعها في الأمة الإسلامية وهذا حرام لأن الدين حرم الخمر وحرم ما يفعله المسلمين وهم في حالة سكر سواء من تجارة وصلاة أو غيرها من الأعمال.

3/2 – الالتزام الإنساني في ديواني " قدر حبه " و " ثم سكت !!"

أ – قدر حبه:

في هذا الديوان قصيدة رائعة " قدر حبه " كنا قد تطرقنا لبعض الأسطر فيها سابقا، ولكن سنتطرق إليها في الالتزام الإنساني أيضا وفيها قول الشاعر:

يحبه مشرّد مُسترجعٌ

ينظر من خيمتهِ

لبائس الخيامْ

فكلّ مشرد على وجه الأرض يحبّ الرسول عليه الصلاة والسلام لأن محمد صلى الله عليه وسلم عندما حكم العالم كان سيّدٌ ذو إنسانية عالية.

[1] – المصدر السابق، ثم سكت !! ، ص 39 .

تحبّه أرملة تبلل الرغيف من دموعها

في ليلة الصيامْ[1]

فالأرملة في وقته كانت تُعامل بلطفٍ ورفق.

أيضا:

يحبّهُ من عبد الأحجارَ في ضلالهِ

وبعدها كسّرها وعلق الفؤوس في رقابهاَ

وخلفه استدارْ

لعالم الأنوارْ

يحبه لأنّه أخرجه من معبد الأحجارْ

لمسجد القهارْ

يحبّه من يكثر الأسفارْ

فالّذي ترك الأوثان وخلف محمد سار تبيّن له كم أنّ عالم الهادي عالم كلّه رحمة وإنسانية.

أيضا:

يحبّه في غربة الأوطان في ضياعها الثوارْ

يستخرجون سيفهُ من غمدهِ

لينصروا الضعيفَ في ارتجافهِ

فكلّ ضعيف أنحاء العالم يحبّ الهادي الذي تتميّز خلافته بالرحمة والرّأفة وهذه هي الإنسانية بأمّ عينها.

ويقطعوا الأسلاك في دوائر الحصارْ[2]

تحبه صبية تذهب في صويحباتها

لتملأ الجرارْ

[1] - المصدر السابق، قدر حبه،ص180 .

[2] – المصدر نفسه، ص (182 – 185).

تقول في حيائها:

((أنقذنا من وأدنا))

لقد كان الزمن كلّه ظلام لولا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فالرضيعة التي كانت تدفن وهي حيّة أمر مُزري ومُؤسف ومُنافي للإنسانية، هنا الشاعر أراد أن يبيّن إنسانية محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام، كيف أنه أنقض الفتيات من هذا الظلم والجور والوحشية، حيث صور الشاعر الفتات كيف أنّها تبكي وتقول أنقذنا من وأدنا، نعم إنّها قِمّة الإنسانية التي تميّز خير خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم.

وتمسح الدموع بالخمارْ [1]

تحبه نفسٌ هنا منفوسةٌ

تحفر في زنزانةٍ

بحرقة الأظفارْ:

((محمدٌ لم يأتِ بالسجون للأحرارْ))..

((محمدٌ لم يأتِ بالسجون للأحرارْ))..

تنكسر الأظفار في نقوشها

كان عليه الصلاة والسلام لا يظلم أحد أبدا يتعامل الناس بشكل جيد جدا دون أن يميز بين ضعيف وقوي أو عربي أو أعجمي، وهذا هو الموقف الإنساني من خلال تصوير الشاعر.

ويخجل الجدارْ

ثم قال:

تحبه الصحراء في رمالها

ما كانت الصحراءُ

في مضارب الأعرابِ في سباسب القفارْ ؟

[1]– المصدر السابق، قدر حبه، ص 186 .

ما كانت الصحراء في أولها ؟

هل غير لاتٍ وهوى

والغدرِ بالجوارْ؟

هل غير سيفٍ جائرٍ

وغارةٍ وثارْ؟

هنا أيضا يوجد موقف إنساني ويتمثّل في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما جاء بالهدى يحمل الإسلام بنوره، حاول جاهدا أن يقضي على كل الجرائم الوحشية والغير إنسانية فقبل الإسلام كانت العرب يسودها الجهل والجور والاستبداد يمشي في عروقهم الثأر مثل حرب البسوس التي دامت أربعون سنة يعني حرق فيها عدي بن ربيعة – الزير سالم – الأخضر واليابس ، فعندما أنار الهادي الكون بنوره أنهى كل هذه العادات السيّئة لدى العرب.

إضافة إلى ذلك قال:

تحبه البهائم العجماء في رحمتهِ

حتى البهائم تحبه لأنه صلى الله عليه وسلم يرفقُ بالحيوان كرفقه بالإنسان، كيف لا نحبه كيف لا يحبه الإنسان حول العالم عندما يسمع عن سيرته ورحمة قلبه الطيّبة المتميزة بالإنسانية الراقية جدّا، فلا يوجد قلب أرحم من قلب الهادي والإنسانية بعده تزول.

يحبه الكفارْ

لكنهم يكابرون حبهُ

ويدفنون الحب في جوانح الأسرارْ[1]

تحبهُ...

يحبه...

نحبه...

[1] – المصدر السابق، قدر حبه، ص (189-191).

لأننا نستنشق الهواء من أنفاسهِ

ودورة الدماء في عروقنا

من قلبه الكبير في عروقنا تُدارْ[1]

ب – ثم سكت !!:

الإنسانية هي الجهد الرامي إلى جعل الإنسان حرا من أجل إنسانيته وإلى تمكينه من اكتشاف كرامته، فإن النزعات الإنسانية ستختلف حسب التصور الذي يكون لدينا عن " الحرية " وعن " طبيعة الإنسان، وستتباين بنفس الكيفية وسائل تحقيقها.[2]

قال الشاعر في قصيدة " غضب شاعر من الشرق الأعمى "

تبا لإنسان يعيش حياتهُ

ما بينَ صفعٍ

واتهامٍ

واغترابٍ

واعتقالْ

في الأسطر السابقة يحاول الشاعر التحدّث عن زوال الإنسانية وكيف أصبح الإنسان لا قيمة له يباع يشترى، ليكمل في الأسطر التالية، تصوير أنّ الحيوان لدى الغرب يُعامل بطريقة أفضل من معاملة الإنسان، وكيف أنّ الإنسان المظلوم والذي يتعرّض لشتّى أساليب الاستبداد، يتمنّى أن يصبح جرو في بيت من البيوت الغربية مع الأسف لأن الإنسانية اندثرت وصارت هباء منثورا.

ثم قال أيضا:

تبا لإنسانٍ

[1]– المصدر السابق، قدر حبه، ص192.

[2] – مارتن هايدغر، رسالة في النزعة الإنسانية، مجلة مدارات، د/ع،د/م، تر: منية جلال، د/س، ص50.

يفكّرُ لو يكونُ

ببيتِ أرملة بلندنَ

(جروَ كانيشٍ)

لينعمَ بالحنانِ وبالنقانقِ

والدلالْ[1]

3 – خصائص الالتزام لدى محمد جربوعة:

يتميز الالتزام لدى جربوعة بما يلي:

- ❖ إن الشاعر محمد جربوعة شاعر ملتزم بمعنى الكلمة يطغى على التزامه الدين الإسلامي بكثرة.
- ❖ يهتم كثيرا بالقضايا العربية والوطنية.
- ❖ دائما ما يذكر الشام كثيرا ربما لأنه عاش فيها ما يقارب 17 عام.
- ❖ يتميز شعره بنكهة القصيدة القديمة فهو ينصر القصيدة العمودية على القصيدة الحرة، رغم تألّقه في القصيدة الحرة.
- ❖ يتسم التزامه برؤية فذّة نحو التغيير للأفضل.
- ❖ يتميز التزامه بالمسؤولية فهو أفضل مدافع شرس عن الرسول والإسلام.

[1]– المصدر السابق، ثم سكت!!، (40–42).

خاتمـــــــة

خاتمة:

1. الالتزام هو مشاركة الأديب للناس في قضاياهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية...وغيرها.
2. الالتزام في الوجودية هو التزام خياري وليس إجباري فالأديب يلتزم ناحية وطنه أو أمته أو مجتمعه بإرادته وليس عن إكراه أو إلزام من أحد.
3. وضع جان بول سارتر رأيه في الالتزام حيث يرى بأن الالتزام ينحصر في النثر دون الشعر، ولكنه استدرك هذا الرأي ليقول بأن أي فن أدبي يجب أن تكون في مضمونه رسالة هادفة وإلا هو ليس بالفن الجيد في هذه الحياة.
4. أما الالتزام في الواقعية فيكون إجباري وليس اختياري.
5. الالتزام أنواع من بينها الالتزام القومي والوطني الالتزام الديني والإنساني والقومي يكون بأن يلتزم الأديب بقضايا أمته أعطينا مثال كالقومية العربية أما الوطني فيلتزم الأديب بقضايا وطنه مثال ذلك شاعرنا محمد جربوعة هو شاعر جزائري وتحدث في شعره عن الجزائر، أما الديني فيكون بالإيمان والطاعة والإخلاص في الدين وأخيرا الإنساني وهو الأعم و الأشمل ويكون حول الإنسان عموما.
6. نجد في شعر محمد جربوعة التزام قومي من خلال دواني ألف ليلة وليلة واللّوح، وذلك بالتفاته حول القضايا العربية، إضافة إلى الالتزام الديني الذي يعتمده الشاعر كثيرا في قصائده فهو رجل دين. وأخيرا الالتزام الإنساني فلا يخلو إنتاجه الشعري من الرسائل الإنسانية.
7. نظم الشاعر محمد جربوعة قصائد قومية في ديواني قدر حبه وثم سكت من خلال احتضانه لمشاكل العروبة دائما في قصائد هاذين الديواوين، ثم الالتزام الديني ونختمه بالالتزام الإنساني.
8. يتميز التزام الشاعر بخصائص معينة تمثلت في غلبة الطابع الديني و ميله وحنينه دائما إلى القصيدة العمودية، التزامه ذو نظرة ثاقبة ومصيبة للهدف فهو رجل دين وإصلاح ومسؤولية.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

❖ **المصادر:**

- ابن منظور، لسان العرب،دار المعارف، القاهرة، ط/1، 1919.
- الصاحب، إسماعيل بن عباد، المحيط في اللغة، عالم الكتب، بيروت، ط/1، 1994.
- إ – بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أروبا، عالم المعرفة، الكويت، 1992.
- جان بول سارتر، الوجودية مذهب إنساني، ط/1، 1994.
- جان بول سارتر، الوجودية منزع إنساني، دار محمد علي الحامي للنشر، تونس، ط/1، 2012.
- جان بول سارتر، ما الأدب، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.
- رجاء عيد، فلسفة الالتزام في النقد الأدبي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1988.
- س، بتروف، الواقعية النقدية في الأدب، الهيئة العامة السورية للكتابة، دمشق، 2012.
- عباس خضر، الواقعية في الأدب، دار الجمهورية، بغداد، 1967 .
- عبد الرحمن حنبكة الميداني، الالتزام الديني منهج وسط.
- محمد جربوعة، ألف ليلة وليلة، ط/2، 2015.
- محمد جربوعة، اللّوح، البدر الساطع للطباعة والنشر، ط/1، 2014.
- محمد جربوعة ثم سكت، البدر الساطع للطباعة والنشر، ط/1، 2014.
- محمد جربوعة قدر حبه، البدر الساطع للطباعة والنشر، ط/1، 2014.

❖ **المراجع:**

- أبي عباس، محمد بن سعيد رسلان، متطلبات الولاء والانتماء.
- برهان رزيق، الوطن في الإسلام، دار الأنصار، دمشق، ط/1، 1997.

- توماس آرفلين، الوجودية مقدمة قصيرة جدا، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ط/1، 2014.
- عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض ط/1، 1992.
- عبد الرحمن ضاحي، أبناء الملتزمين، الدار العالمية للنشر والتوزيع، مصر، ط/7 2013.
- عزيز علي الموسمي، النزعة الإنسانية في أدب زيد الشهيد الروائي، أمل الجديدة طباعة نشر توزيع.
- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار النهضة، مصر، ط/1، 1997.
- محمد حسين يعقوب، الجدية في الالتزام.
- موسى الحسيني، القومية العربية، دار الأحد للطبع والنشر، بيروت.
- محمد رأفت سعيد، الالتزام في التصور الإسلامي للأدب، دار الهداية، ط/1، 1987.

❖ **المجلات:**

- أسماء بن عاشور، النقد الوجودي عند سارتر، مجلة الآداب، ع/14.
- العقاب فتيحة، قصائد غادة السمان بين الالتزام والحرية – دراسة في ديوان الأبدية لحظة – مجلة المخبر، ع/11، 2015.
- خليل برويني، الحرية الوجودية في الرواية العربية المعاصرة – دراسة في أصابعنا التي تحترق – مجلة إضاؤات نقدية (فصلية محكمة) ع/19، 2015.
- عبد الحسين فقهي، قضية الالتزام بين الخطابين النقدي والشعري، في الأدب العربي المعاصر، مجلة إضائات نقدية (فصلية محكمة) ع/32، 2028.

- عمر حسن العامري، الالتزام في الشعر العربي الحديث، عبد الوهاب البياتي – أنموذجا –، مجلة اللغة العربية، ع/38.
- فريدة مغتات، الواقعية والالتزام عند عز الدين جلاوجي وآنا ماريا ماتوتي، مجلة حوليات التراث، ع/14، 2014.
- مارتن هايدغر، رسالة في النزعة الإنسانية، مجلة مدارات.
- محمد هاني عبود، العلاقة بين الالتزام الديني وقوة الأنا لدى عينة من طلبة الجامعة الهاشمية، مجلة الدراسات التربوية والنفسية، م/14، ع/3، 2020.
- ملاح بناجي، الالتزام من منظور محمد مصايف، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع/9.
- منير زيبائي، مفهوم الحرية بين النقد والدراسة، قراؤة تحليلية مقارنة في كتابات مطاع صفدي وسارتر – أنموذجا –، مجلة إضاؤات نقدية (فصلية محكمة) ع/12 2013.

❖ **الرسائل:**

- جواد إسماعيل عبد الله الهشيم، الالتزام في الشعر الإسلامي الفلسطيني المعاصر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية بغزة، 2011/2010.
- فؤاد عمر علي البابلي، الالتزام في شعر محمد التهامي، مذكرة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية بغزة، 2004/2003.

❖ **المواقع الالكترونية:**

- elaph.com/web/opinion/2011/6/664369.html.
- islamstory.com/ar/artical/21798/
- islamweb.net/ar/library/
- marefa.org
- mowdoo3.com
- wikipedia.org/wiki/

الفهـــــــرس

مقدمـــــــة: .....أ

مدخل: 4

1/مفهوم الالتزام: 14

1/1–تعريف الالتزام:..... 14

لغة: 14

اصطلاحا:..... 15

2/1–الالتزام والوجودية: 18

3/1 – الالتزام في المذهب الواقعي:..... 25

2 / أنواع الالتزام:..... 32

1/2– الالتزام القومي والوطني: 32

2/2– الالتزام الديني:..... 36

3/2 – الالتزام الإنساني: 41

1)ملامح الالتزام في ديواني "ألف ليلة وليلة "و" اللوح"..... 47

1/1– الالتزام القومي في ديواني" ألف ليلة ولية" و"اللوح"..... 47

1 /2 – الالتزام الديني في ديواني "ألف ليلة وليلة " و"اللّوح" 63

1 / 3 – الالتزام الإنساني في ديواني " ألف ليلة وليلة " و" اللّوح "..... 75

2 – أشكال الالتزام في ديواني " قدر حبه " و" ثم سكت !!"..... 80

2 / 1 – الالتزام القومي في ديواني " قدر حبه " و" ثم سكت"..... 80

2 / 2 – الالتزام الديني في ديواني " قدر حبه" و" ثم سكت!!"..... 91

3/2 – الالتزام الإنساني في ديواني " قدر حبه " و " ثم سكت !!"..... 99

3 – خصائص الالتزام لدى محمد جربوعة:..... 104

الخاتمة: 106

الملحـــــــق

محمد جربوعة التميمي من مواليد 20 أوت 1967

بالجزائر بقرية صغيرة تسمى الثنايا واقعة بين مدينتي صالح باي وعين آزال، الملحقتين بولاية سطيف بالشرق الجزائري، عاش طفولته بمدينة عين آزال التي تلقى تعليمه في مدارسها، حافظ للقرآن الكريم، عمل مذيعا في بعض الإذاعات العربية واشرف على العديد من الصحف العربية وبالتالي فهو شاعر وإعلامي، وقد ألف في السياسة مايلي:

نقد التجربة الإعلامية الإسلامية - محاكمة الجماعات الإسلامية على ضوؤ السيرة النبوية، تبرئة هتلر من تهمة الهولوكوست

-آفاق لجزائر عظمى في المشهد الإقليمي والعالمي ، أضافة إلى مؤلفاته الروائية أشهرها: - غريب – خيول الشوق - مجنون، صدرت عن مكتبة العبيكان في السعودية ، أما أشعاره الأخرى غير التي درسناها في البحث: - وعيناها – حيزية – السّاعر – بأي ربطة عنق ستذهب وغيرها الكثير.

ملخص:

قضية الالتزام قضية مهمة ولها صدى واسع في المجال النقدي، وهي موجودة منذ القدم وقد اهتم بها الأدباء المسلمين في العصر الحديث كثيرا فهي خير وسيلة للاهتمام بالقضايا الاجتماعية والدينية والسياسية والإنسانية والقومية والوطنية وغيرها... ومحاولة إيجاد حلول لهذه القضايا العالقة. وقد تبنت الوجودية الالتزام مع رائدها جان بول سارتر، والالتزام هو التزام خياري لا إلزام فيه، كما تبنتها الواقعية أيضا، فالأديب المسؤول هو أديب ذو ضمير حيّ نابض، كما هو الحال مع شاعرنا الجزائري محمد جربوعة فقد التزم التزاما واضحا من خلال قصائده الجميلة في مجموعة من دواوينه الشعرية أو في إنتاجه الأدبي عموما، كما أن الشاعر لديه خصائص مميزة في التزامه.

Abstract :

Commitment is an important issue and has wide resonance in the critical field, and it has existed since antiquity and has been the subject of Muslim literature in modern times so much, as it is the best way to deal with social, religious, political, humanitarian, national issues etc ... all trying to find solutions for them.

The existential commitment has been adapted with his leader Jean-Paul Sartre, and the choice commitment is not binding, because it has also been adapted by realism, as the responsible divinity is a discipline of a vibrant consciousness like our Algerian poet Mohamed Djerbouaa, he made a clear commitment through this beautiful poems in a collection of his poetic literature or in his overall literature production, and also the poet has distinct characteristics his commitment.